بسم الله الرحمن الرحيم

تقديـــــم

تعددت الدراسات التاريخية التي تصدت لتحليل وتعليل أسباب انهيار دولة الإسلام في الأندلس . وتجمع المدارس التاريخية على أن تعدد المدارس السكانية التي تكون منها المجتمع الأندلسي، وتنافرها ، كان من أهم وأبرز هذه العوامل ، فمن عرب قيسية ويمنية ، إلى بربر ، ومن صقالبة ومولدين إلى مستعربين ويهود . وكانت هذه العناصر السكانية متنازعة متصارعة، تميل إلى التكتل في بؤر عمرانية خاصة بها. وساعد على ذلك الطبيعة الجغرافية لأسبانيا ، فالسلاسل الجبلية التي تمتد من الشرق إلى الغرب ، ومن الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي ،قسمت البلاد في حقيقة الأمر إلى مناطق شبه مستقلة تفصل بينها الحواجز التي كان من الصعب على الحكومات المركزية في الأندلس اجتيازها ، مما ساعد على النزعات الانفصالية .هذا إلى جانب سوء سياسة حكام الدولة الأموية في الأندلس (١٣٨-٤٢٢ هـ) وتخبطها وعدم ثباتها على مبدأ واحد إزاء العناصر السكانية المختلفة، مما أدى إلى تذمر بعض هذه العناصر ضد الحكومة المركزية في قرطبة وأسفرت النهاية عن انهيار الخلافة الأموية، والوحدة السياسية في البلاد، وقيام دويلات الطوائف التي استمر تنازع المسلمين في الأندلس خلال فترة قيامها .

وكان ملوك الطوائف يستعينون أثناء صراعاتهم مع بعضهم البعض فيها بالقوى النصرانية المتربصة بالإسلام ككل، مفتقدين بذلك القدرة على التمييز بين مفهومي العدو والصديق، فارتأوا العدو صديقاً والجار المسلم عدوا . وكان ملوك الطوائف في سبيل الحصول على المعونة العسكرية الأسبانية ضد بعضهم البعض يتنازلون عن الأراضي والمدن الإسلامية تباعاً للأسبان .

وجاء سقوط مملكة بني ذي النون في طليطلة على يد ألفونسو السادس ملك قشتالة وليون سنة ٤٧٨هـ رغم كل ما قدمه ملكها السابق المأمون بن ذي النون لهذا الملك بمثابة صدمة زلزلت نفوس بعض ملوك الطوائف وعلى رأسهم المتوكل عمر بن الأفطس ملك بطليوس وغرب الأندلس ، وكذلك المعتمد بن عباد ملك إشبيلية ، فقد شعرا بالأخطار الأسبانية التي باتت تهدد مملكتيهما ، خاصة وأن ألفونسو السادس بدأ يرسل إليهما رسائل التهديد والوعيد ، وبدأت نذر الشر تقترب من بقية ملوك الطوائف ، ولذا بدأ المتوكل بالدعوة لوحدة مسلمي الأندلس ، وتناسي الخلافات ، مستخدماً بعض وزرائه من الأدباء والفقهاء في الدعوة للم الشمل ، كما أخذ يستعين بيوسف بن تاشفين أمير المرابطين في المغرب في ذلك الوقت .

وهنا يطرح السؤال نفسه، هل كان فقهاء وعلماء الأندلس على مستوى المسئولية المطلوبة منهم كرجال علم ودين إزاء هذه الأوضاع السياسية المتردية للمسلمين في الأندلس في عصر ملوك الطوائف وبدايات عصر المرابطين ؟؟ وهل قاموا بدورهم كأقلام نزيهة وأمناء على مصلحة الدين والأمة ؟؟

وللرد على هذا السؤال نجد أنه كان لبعض الفقهاء، ومن بعدهم الشعراء والأدباء والمؤرخين، دورا بارزا في إدارة دفة الأحداث في هذه الحقبة التاريخية . وبوجه عام فإن علماء الأندلس وفقهاءها انقسموا في هذه الآونة إلى نوعين ، نوع كرّس كل فنونه وطاقاته لخدمة نفسه وذاته ودنياه ، ونوع آخر كرّس علمه ودينه وابداعاته لخدمة قضايا أخلاقية ومبادئ عليا سامية . وإذا ما أردنا تقييم نسبة كل نوع إلى الآخر في عصر الطوائف لوجدنا بطبيعة الحال أن النوع الثاني الذي قضى حياته متبحراً في العلم من أجل خدمة مذهب أخلاقي سامي، مترفعاً عن أي منصب يقرّبه من ذوي المال و السلطان والجاه، متحرراً بفكره من أغلال السلطة، كان أقل عدداً بكثير إذا ما قورن بهؤلاء العلماء الذين استغلوا

علمهم ، وأخضعوه وطوّعوه لطموحاتهم من أجل الوصول إلى ما يصبون إليه ، ومن أجل تحقيق مصالحهم الشخصية .

وفيما يتعلق بهذا النوع الأخير من علماء وفقهاء الأندلس ، الذين اهتموا بقضايا المجتمع ، وكرسوا علمهم وقدراتهم الإبداعية لخدمة مصالح الدين والأمة ، والذين كانوا أقل في نسبتهم وعددهم من النوع الذي يسعى وراء مصالحه الخاصة ، فقد وصل الحال ببعضهم أن يدفع حياته ثمناً نتيجة لنقدهم الأوضاع السياسية الإسلامية المتردية في الأندلس ، مثل الفقيه الشاعر (أبو حفص عمر الهوزني) الذي أشار إليه كل من ابن بسام في الذخيرة والحجاري في المسهب . وكان أبو حفص قد استقر في إشبيلية بعد رحلته إلى الحجاز للعلم في عهد ملكها المعتضد بن عباد .

وقد أدى انتقاده الشديد لسياسات هذا الملك العدائية تجاه جيرانه من ملوك الطوائف المسلمين، إلى قيام المعتضد بن عباد بقتله بنفسه في يوم الجمعة ١١ربيع الأول سنة٤٦٥هـ ، وقام بدفنه في قصره بثيابه وقلنسوته وهال عليه التراب دون غسل أو صلاه.

وكذلك كان حال الفقيه الشهير (محمد بن جهور بن محمد) الذي انتهت حياته معتقلاً في سجن مدينة شلطيش من قبل المعتمد بن عباد في سنة ٤٦٢هـ .

كما برز اسم الفقيه(عمر بن حيان بن خلف القرطبي) ، ابن المؤرخ الكبير (ابن حيان) ، الذي انتهت حياته بالقتل على يد المأمون الفتح بن محمد بن عباد في مدينة المدور سنة٤٧٤هـ وقد مثل بجثته أبشع تمثيل لفصاحته ويقظته ودوره البارز في نقد الأوضاع السياسية في ذلك العصر مثل المؤرخ العظيم ابن حيان .

أما الفقيه الشهير(أبو محمد بن حزم) فقد كان له دور كبير في نقد سياسة حكام الأندلس في عصري الفتنه والطوائف، كما انتقد الفقهاء الذين هرعوا لخدمة ملوك الطوائف غير عابئين بسياستهم المشينة طمعاً في منصب وجاه .

كذلك كرس بعض الفقهاء أمثال (أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي) و(أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر) و (أبو الأصبغ عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي)حياتهم للدعوة لجمع شمل المسلمين في شبه القارة الأيبيرية .

ولم يكتف بعض فقهاء الأندلس بذلك وإنما تعدى بعضهم هذه المراحل إلى الجهاد بالنفس لمقاومة العدو الأسباني ومن بين هؤلاء نطالع اسم الفقيه (محمد بن عيسى بن البريلي التطيلي) قاضي تطيله الذي توفي شهيداً في مطلع القرن الخامس الهجري مجاهداً في ثغره ، والفقيه(هشام بن محمد بن سليمان القيسي الطليطلي) الذي استشهد مثاغراً سنة٤٢٠هـ ،والفقيه (أحمد بن محمد المعروف بابن رميله القرطبي) الذي استشهد في الزلاقة بعد أن استمات في القتال غير مدبر على حد وصف ابن بشكوال والفقيه الشهيد (حسين بن محمد فيره ابن سكره الصدفي) الذي استشهد بقتنده وكان في الستين من عمره.

إن الدور الكبير الذي قام به بعض فقهاء الأندلس في هذه الفترة المضطربة من تاريخ الأندلس من نقد وإصلاح الأوضاع ، أو العكس للإستفادة ولخدمة مصالحهم الخاصة كان جديراً بأن تفرد له دراسة قائمة بذاتها ، وهذا هو ما طرح في هذا العمل القيم ، الذي نقوم بالتقديم له .

ولعل هذا العمل المطروح للقراء بمثابة دراسة علمية متخصصة أصلية وجادة حيث تم فيها استيفاء المادة العلمية من بطون المصادر العربية الأصلية وهي مادة شحيحة لأن المصادر حول العلماء وسطاء الناس قليلة، عادة ما تهتم بالحديث عن الملوك والحكام ودائماً ما تكون الإشارة حول العلماء وسطاء الناس قليلة، لذا فإن هذا العمل محاولة هامة وكبيرة للوصول إلى حقيقة دور الفقهاء حماة الدين في هذه الفترة التاريخية سواء بالسلب أو الإيجاب .

وهذه الدراسة تحمل رسالة موجهة إلي علماء الأمة في كل العصور، مفادها أنهم حملة أقلام وأن لهم أدوار يجب أن يؤدونها لإصلاح مسار أوطانهم، وأنهم إن تقاعسوا عن أدائها، فإن التاريخ سيسجل عليهم تخاذلهم وتراجعهم في حين سيسجل لمن سعى واجتهد للإصلاح ،حتى وإن فشل في إحداث التغيير فيكفيه شرف المحاولة والإقدام على خوض التجربة.

إن هذه الدراسة المقدمة للدارسين والقراء هي في حد ذاتها محاولة جادة وصادقة لإصلاح مسار كتابة التاريخ، وتصفيته وتنقيته من الشوائب التي علقت بكثير من الكتابات التاريخية في فترات سابقة.

أ.د. سحر السيد عبد العزيز سالم

أستاذ التاريخ الإسلامي ورئيس قسم التاريخ

كلية الآداب /جامعة الإسكندرية

الإسكندرية ٢٣/يوليو سنة ٢٠٠٩م

openkandl.com

obeikandl.com

مقدمة

أولاً : موضوع البحث ومنهج الدراسة

على الرغم من أن تاريخ المسلمين في الأندلس قد حظي باهتمام كبير لدى العديد من الباحثين قديماً وحديثاً، ومن المسلمين أو من عنى من غير المسلمين بالتاريخ الإسلامي في الأندلس إلا أن جوانب هامة مازالت تستوجب البحث والإطلاع إلى الآن .

ومن هنا فإن دور الفقهاء في هذا المجتمع سواء في فترة تكوينه أم في فترة قوته أم في فترات ضعفه يمثل المقوم الأساسي له حيث شكلوا في أنفسهم وفي اجتهاداتهم الوازع الديني الذي ضم كل الفئات والأجناس دون تمييز بين أي منها مما ساعد على اندماج شرائح المجتمع، وساعدتهم الوظ ولعل من أبرز الجوانب التي مازالت في حاجة إلى البحث في تاريخ الأندلس الإحاطة بدور الفقهاء أو العلماء فيه بشتى اتجاهاتهم وتوجهاتهم ذلك لأن دور هؤلاء العلماء، أو الغالب منهم، يعد ترجمة واضحة للمقومات التي بنيت على أساسها الحضارة الإسلامية بشكل عام وفى الأندلس بشكل خاص. فمن المسلمات أن المجتمع الإسلامي قد نبذ العرقية ولم يجعلها أحد مقومات بنائه، وعلى هذا الأساس تكوّن المجتمع الإسلامي في الأندلس حيث كان خليطاً من الأجناس بشتى انتماءاتهم سواء منهم من بقى في الأندلس بعد الفتح الإسلامي أو من وفد من كافة أقطار العالم الإسلامي كالعرب والبربر والفرس والترك وغيرهم، ثم كانت طائفة المولدين، ولم يكن بين كل هؤلاء رابطة جنسية يقوم عليها المجتمع الجديد في الأندلس بل كانوا في مجموعهم تعبيراً عن الكل الإسلامي ببعده العقدي في المقام الأول .ائف التي تولوها على تحقيق العدل والأمن داخل المجتمع والضرب على أيدي المفسدين وحماية المجتمع منهم. ولعل مما يؤكد ذلك أن هذه الشرائح والأجناس التي تكون منها هذا المجتمع حين بعدت عن الاندماج في الكل الإسلامي وتعصبت لجذورها بدت ملامح الضعف واضحة وأودت بوجودهم السياسي في النهاية.

وقد دعا الفقهاء بمختلف مذاهبهم إلى الوحدة السياسية، ومن منطلق الوحدة السياسية قامت دعوات الفقهاء لجمع شمل ملوك الطوائف فبدا دور " ابن حزم " و " أبو الوليد الباجى " و" ابن الطلاع "وغيرهم . وحين أدرك الضعف مجتمع ملوك الطوائف كان الفقهاء وراء دعوة المرابطين كتعبير عن أمل العودة للوحدة الدينية التي هي أساس للوحدة السياسية في الأندلس وخشية من تغلب النصارى أو المغامرين على الوجود الإسلامي فيه .

على أن الاهتمام الذي أبداه بعض الباحثين تجاه دور الفقهاء في الأندلس قد جاء ضمناً في دراسة الأوضاع السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو الفكرية دون تسليط الضوء على دورهم باعتبارهم يمثلون المقوم الأساسي - سلباً أو إيجاباً - للمجتمع الإسلامي في الأندلس. وحتى الذين درسوا دورهم في بعض الفترات فقد تركز اهتمامهم على علماء القرن الرابع الهجري الذين أرسوا قواعد المذهب المالكي ووحدوا الوجهة المذهبية من خلاله في المجتمع الأندلسي، وكذلك فقهاء القرن السادس الهجري باعتبارهم الذين سعوا للتصدي للمد النصراني وأعادوا التوحد السياسي من خلال إرساء دعائم دولة المرابطين في الأندلس . كما كان لهم دور معارض للمرابطين حينما ضعفت دولتهم في أخريات وجودهم في الأندلس فقاموا بحركات استقلالية عن المرابطين .

وأدى الاهتمام بفقهاء القرنين الرابع والسادس الهجريين إلى علو مكانة الفقهاء في المجتمع الأندلسي خلال هذه الفترة، في حين ظل دور الكثير من فقهاء القرن الخامس الهجري ينتابه الغموض والسلبية التي شابت أحداث هذا القرن الذي بدا فيه ضعف الوجود الإسلامي من خلال ملوك الطوائف واضحاً.

لهذا تبدو أهمية هذه الدراسة في إلقاء الضوء على فقهاء القرن الخامس الهجري وإبراز دورهم لا باعتبارهم إفرازاً ضعيفاً لفترة أحاطها الضعف بل باعتبارهم عوامل القوة

التي ساعدت الكيانات السياسية الإسلامية خلال هذه الفترة على الصمود حتى مقدم المرابطين ليتصدوا للمد الأوربي المعادي لهم باسم الدين.

وقد حاولت خلال دراستي للموضوع أن أتقصى الحقائق التاريخية التي يمكن أن يدور عليها البحث مستعينة بعدد كبير من المصادر العربية والأجنبية التي تعرضت من قريب أو بعيد لموضوع الدراسة.

وعلى هذا النحو قسمت موضوع الرسالة إلى بابين رئيسيين، أولهما يتعلق بالتاريخ السياسي والثاني يتعلق بالتاريخ الحضاري ، وسبق ذلك تمهيد تناولت فيه أبعاد انتشار المذهب المالكي في الأندلس والأسس التي أدت إلى رسوخ هذا المذهب، وتعرضت الدراسة خلال ذلك لأهم فقهاء القرن الرابع الهجري الذين لعبوا دوراً أساسياً في هذا المجتمع .

ثم عالجت موضوع الدراسة في بابين أولهما الباب الخاص بالتاريخ السياسي الذي اشتمل على أربعة فصول ، والثاني الباب الخاص بالتاريخ الحضاري الذي اشتمل على ثلاثة فصول أخرى . ثم تبع ذلك خاتمة احتوت على أهم نتائج البحث، وقائمة بالمصادر والمراجع العربية والأجنبية التي استند إليها البحث في عمومه.

أما عن الباب الأول، وهو الباب الخاص بالتاريخ السياسي وعنوانه " دور الفقهاء السياسي في الأندلس في القرن الخامس الهجري، فقد تضمنت فصوله تناول أحوال الأندلس ببعده الجغرافي حيث تضمن الفصل الأول دراسة دور الفقهاء السياسي في غرب الأندلس في دولة بنى عباد في إشبيلية .

وتناول الفصل الثاني دور الفقهاء السياسي في وسط الأندلس من خلال إلقاء الضوء على أحداث دولة بنى جهور في قرطبة .

أما الفصل الثالث فقد تناول دور الفقهاء السياسي في حاضرة شرق الأندلس من خلال دورهم في مدينة بلنسية التي برز فيها دور الفقيه " ابن جحاف " .

كما تناول الفصل الرابع دور الفقهاء السياسي في تحقيق الوحدة السياسية والتصدي للمد النصراني والذي اشتمل على تناول أبرز الفقهاء الذين دعوا إلى الوحدة السياسية مثل " ابن حزم " و " الباجي " و " أبو إسحاق الألبيري " و " ابن الطلاع " و "ابن عبد البر القرطبي " وغيرهم كترجمة لشمول هذا الاتجاه لكل أرجاء الأندلس حيث كان محوراً للأحداث السياسية بعد ازدياد ضعف ملوك الطوائف وبخاصة بعد سقوط طليطلة في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري .

أما الباب الخاص بالجانب الحضاري الذي اشتمل على ثلاثة فصول فقد تناول بشكل عام دور الفقهاء في الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية كتعبير عن أن دور الفقهاء في فترة الدراسة لم يكن قاصراً على الجانب السياسي وحده ، بل إن دورهم السياسي كان سبباً ونتيجة لدورهم الحضاري، أي أن كلا الدورين يكمل الآخر، أو بتعبير أدق كان دورهم تأكيداً للفكر الشمولي الإسلامي.

فقد تناول الفصل الأول دور الفقهاء في الحياة العلمية في الأندلس وكيف أن هذا الجانب كان مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بجهودهم، وتضمن هذا الفصل ترجمة لأبرز الفقهاء ومدى مساهماتهم وإبداعاتهم لا في الفقه فحسب بل وفى كافة العلوم الأخرى .

أما الفصل الثاني فقد اشتمل على دور الفقهاء في الحياة التعليمية كجزء لا يتجزأ من الحياة العلمية ومدى عنايتهم بمؤسساتها وإبرازهم لدور المسجد كأهم هذه المؤسسات ومدى حرصهم على تنمية هذه المؤسسات والعناية بروادها وتشجيعهم على ارتيادها والتطوع أحياناً من أجل استمرارها في أداء دورها .

وتعرض الفصل الثالث لدور الفقهاء في الحياة الاجتماعية والاقتصادية وكيف أنهم من خلال توليهم للوظائف الإدارية كانوا يعبرون عن مصالح كافة شرائح المجتمع الأندلسي فعرضت للخطط التي تولوها في الجانب الاجتماعي كخطة القضاء وما يتعلق بها من خطط كخطة المظالم وخطة الرد وخطة الشورى وخطة الحسبة وخطة الصلاة وخطة

الشرطة وخطة المدينة وخطة العدالة وخطة الوزارة. على أن سبب السبق في الخطط ذات الصفة الاجتماعية في الغالب . رغم شموليتها . على الخطط ذات الصبغة السياسية كالوزارة يرجع إلى أن الخطط الأولى كان أمر توليها يقتصر على الفقهاء وحدهم غالباً في حين كان يمكن الاستعانة بغيرهم في الخطط السياسية .

وشمل هذا الفصل كذلك مدى تأثير الفقهاء في الحياة الاقتصادية سواء من خلال ما تولوه من وظائف أو خطط كالأحباس والمواريث والحسبة أو من خلال دورهم بشكل عام ومن خلال المسجد أو جلسات الوعظ في توضيح الضوابط الاقتصادية بشكل عام .

أما الخاتمة فقد اشتملت على أهم النتائج التي تعرض لها البحث وإلى أي مدى لعب الفقهاء دوراً مؤثراً في المجتمع الأندلسي .

ثانياً : عرض لأهم مصادر البحث

أما من حيث مصادر البحث الأساسية فهي في مجموعها تشكل المعول الرئيسي الذي استندت إليه هذه الدراسة. ومع أنني قسمت أهم هذه المصادر حسب منهج تناولها ككتب التراجم والكتب الفقهية وكتب الأدب والكتب الجغرافية وغير ذلك إلا أن الموضوعية قد فرضت ضرورة التعرض لكتابات الفقهاء المعاصرين لفترة البحث بحكم معايشتهم للأحداث إلى جانب أنهم قد شاركوا في الحياة العامة للمجتمع الأندلسى بكل جوانبها .

وسنعرض لأهمها من حيث درجة الاستفادة بها ومن حيث كونها معاصرة للأحداث أو قريبة منها وفق التسلسل الزمني .

مصادر معاصرة :

أولاً : مؤلفات ابن حزم :

يعتبر" ابن حزم "من الفقهاء الموسوعيين الذين تحلوا بالدقة العلمية في الغالب وكتبوا في العديد من جوانب العلم، فضلاً عن أنه قد شارك في الأحداث السياسية والاجتماعية والفكرية، ولهذا تبدو الاستفادة من مؤلفاته شاملة لكافة جوانب البحث فبدت موسوعية كمؤلفها الذي لم يتقيد بالمذهب الظاهري الذي اقترن باسمه . ومن أبرز هذه المؤلفات (رسائل ابن حزم) التي حققها إحسان عباس في أربعة أجزاء تناول الجزء الأول منها كتابه (طوق الحمامة في الألفة والآلاف)، ورسالته (الأخلاق والسير في مداواة النفوس)، وقد أوضحت هاتين الرسالتين الدور السياسي لابن حزم ومناصرته للحزب الأموي ومحاربته للحموديين وقت الفتنة القرطبية .

وقد أفدت منها في دراسة الجوانب الحضارية من الرسالة وخاصة الفصل الخاص بدور الفقهاء في الحياة الاجتماعية .

أما الجزء الثاني فيحتوى على خمسة رسائل وهى رسالة (نقط العروس في تواريخ الخلفا) ورسالة(أمهات الخلفا)،ورسالة (أسماء الخلفاء) ورسالة في (فضل الأندلس وذكر رجالها)، وقد استعنت منها برسالة (نقط العروس) ورسالة (أسماء الخلفا) وكذلك رسالة (فضل الأندلس) . وقد أوضحت هذه الرسائل موقعه من ملوك الطوائف ورغبته في تحقيق الوحدة السياسية ودفاعه عن الحكم الأموى .

واحتوى الجزء الثالث من مؤلفات " ابن حزم "على ثمانية رسائل رسالته (في الرد على ابن النغريلة اليهودي) ، وقد استعنت بها في كتابة البابين الباب الخاص بالتاريخ السياسي والخاص بالتاريخ الحضاري، وكذلك رسالة(التلخيص) في تناول

الباب الخاص بالتاريخ السياسي، وكذلك رسالته (في الإمامة) لتغطية بعض الجوانب الحضارية من البحث .

أما الجزء الرابع فهو مكون من خمسة رسائل استعنت منها برسالة (مراتب العلوم) في الجانب الحضاري وبخاصة في الفصل الأول منه الخاص بالنواحي العلمية(١) .

وقد استفاد البحث من مؤلفات " ابن حزم "الأخرى مثل (جمهرة أنساب العرب) في التعرف على نسب بنى عباد وبنى جهور، وكذلك كتابه (الإحكام في أصول الأحكام) وهو كتاب فقهي مكون من جزءين وقد أفاد في تناول العلوم الشرعية دون الدخول في القضايا الفقهية . وكتابة (الفصل في الملل الأهواء والنحل) الذي أشار فيه إلي الدعوة للوحدة المذهبية ونزع البدع والتفرق .كما ظهرت الدعوة إلي الإصلاح الديني والاجتماعي،ووضح هذا الكتاب نقطة أخرى تمثلت في موقف حكام بنى أمية من المدرسة المسرية (٢) .

والحقيقة أن كتب هذا الفقيه لها أهمية كبرى باعتباره معاصراً ومن حيث تميز مؤلفها المذهبي والعلمي ومخالفته في المذهب لغالبية فقهاء الأندلس فاطلعنا من خلاله على الوجه الآخر لفقهاء الفترة . وبشكل عام اتسمت كتابات " ابن حزم " بالدقة والحيدة إلى حد كبير إلى جانب سعة ثقافته التي تفيد أي باحث في هذه الفترة .

---

(١) رسائل ابن حزم ، ت : إحسان عباس ، أربعة اجزاء ، المؤسسة العربية للنشر ، ط٢ سنة ١٩٨٧م .

(٢) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، نشر عبد السلام هارون ، دار المعارف ، ط٥ القاهرة ١٩٨٢م.؛ الإحكام فى أصول الأحكام ، ت حسين مؤنس ، بيروت، سنة ١٩٨٣م .؛الفصل في الملل والأهواء والنحل ،ت:محمد إبراهيم نصر و عبدالرحمن عميره ،دار جليل ،ج١ـج٥ ،بيروت ،ب.ت .؛ كتابات حول شخصية ابن حزم : زكريا إبراهيم: ابن حزم المفكر الظاهرى الموسوعى ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، سلسلة أعلام العرب ، القاهرة سنة ١٩٥٩م.؛ سالم يفوت : ابن حزم الفكر الظاهرى في المغرب والأندلس ، المركز الثقافى العربى – الدار البيضاء ، سنة ١٩٨٦م.؛عبد الكريم خليفه : ابن حزم حياته وأدبه ، بيروت ، ب . ت . ؛ عبد اللطيف شرارة : ابن حزم رائد الفكر العلمى ، المكتب التجارى ، بيروت ، ب ، ت .

ثانياً : مؤلفات ابن عبدالبر :

وهو من فقهاء المالكية الذين عاشوا في القرن الخامس الهجري وله مؤلفات في الفقه والحديث أفادت في تغطية بعض جوانب البحث . ومن هذه المؤلفات كتاب (الانتقاء في فضائل الثلاثة أئمة الفقهاء) وقد أفاد الفصل التمهيدي فيما تناوله عن الإمام مالك لأنه شرح للموطأ ، كما أفاد في الفصل الخاص بمشاركات الفقهاء العلمية خاصة فيما يختص بعلم الحديث (١)

ثالثا: مؤلفات أبو الوليد الباجي :

وهو من أشهر فقهاء عصره وأحد أقطاب المذهب المالكي في الأندلس إبان القرن الخامس الهجري، ولهذا فإن الاستعانة بكتبه ضرورية وبخاصة أنها من حيث البعد المذهبي تعبر عن اتجاه غالبية فقهاء الأندلس إلي المذهب المالكي، إلى جانب الموازنة من حيث البعد الثقافي مع مؤلفات " ابن حزم الظاهري " .

ومن أهم مؤلفاته التي أفادت البحث كتابه (المنتقى لشرح الموطأ) وهو من عدة أجزاء، وقد استعنت بهذا الكتاب في الباب الخاص بالتاريخ الحضاري وبخاصة في الفصل الذي تناول الحياة العلمية في الأندلس .

وكذلك كتابه (إحكام الفصول في أحكام الأصول) الذي حققه محمد عبد الله الجبوري ويعد من الكتب العلمية الأصولية التي أفادت هذا البحث فى تغطية بعض جوانب الباب الحضاري (٢) .

أما رسالتيه وهما (رسالة في الحدود) تحقيق جودة عبد الرحمن هلال ، والثانية (وصيته لولديه) وهى من تحقيق جودة هلال أيضاً ، فقد أفدت من الأولى في باب التاريخ

(١) ابن عبد البر : الإنتقاء فى فضل الثلاثة أئمة الفقهاء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ب . ت .؛ ليث سعود جاسم : ابن عبد البر الأندلسى وجهوده في التاريخ ، دار الوفاء ، ط ، سنة ١٩٨٨م .

(٢) الباجى : المنتقى (شرح موطأ مالك) ، دار الكتاب العربى ، ، بيروت ، سنة ١٣٢١هـ ، ص١ – ص٧.؛ إحكام الفصول فى أحكام الأصول ، ت محمد عبد الله الجبورى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، سنة ١٩٨٩م .

الحضاري بشكل عام في حين تركزت الفائدة من الثانية على الجانب العلمي في نفس الباب ومعرفة موقف الفقهاء ـ سلباً أو إيجاباً ـ من العلوم الأخرى ، ووضحت بعض الأسس لمنهج التعليم في الأندلس خلال فترة البحث (١).

وبشكل عام بدت كتابات الباجي لها طابعها المميز بحكم أسفاره المتعددة إلى المشرق الإسلامي وتأثره بالحياة الثقافية فيه فأضفت من ثقافته الواسعة بعداً جديداً على الأندلسيين وأبرزت فائدة الانفتاح الثقافي التي كانت أساساً في تميّز الباجى ومؤلفاته

رابعاً : مؤلفات أبو بكر الطرطوشي :

على الرغم من أن هذا الفقيه قد عاش إلى أوائل القرن السادس الهجري، وأنه ترك الأندلس في القرن الخامس حيث قام برحلة إلى المشرق استقر في نهايتها في مصر بقية حياته، إلا أنه قد عايش الأحداث في الأندلس خلال فترة البحث وتأثرت مؤلفاته بذلك بحيث أصبح لا يمكن إغفالها. وقد استعنت بكتابين من هذه المؤلفات وهما كتاب (الحوادث والبدع) تحقيق عبد المجيد التركي واستعنت به في البابين السياسي والحضاري على السواء حيث عرض فيه آراء كثير من الفقهاء وموقفهم من البدع إلى جانب موقفهم من الحياة الاجتماعية .

وكتاب (سراج الملوك) وهو كتاب تاريخ وسير، وهو غير محقق ، اشتمل على مواعظ وتوجيهات للحكام والوزراء والولاة والقضاة فأفاد البحث في الباب الخاص بالتاريخ السياسي، كما أن الطرطوشي نفسه قد شارك في الأحداث السياسية في الأندلس على الرغم من بعده عنها كفتواه في فساد ملوك الطوائف وجواز التخلص منهم ودعم فكرة الاستعانة بالمرابطين (٢).

---

(١) رسالة الباجى لولديه ، ت جودة عبد الرحمن هلال ، مج١ ، ع٣ ، سنة ١٩٥٥م ، المعهد المصرى للدراسات الإسلامية ، مدريد.؛ رسالته فى الحدود ، ت: جوده عبد الرحمن هلال ، المعهد المصرى للدراسات الإسلامية – مدريد ،مج٢ .؛ ع ٢٠١ ، سنة ١٩٥٤م ،.

(٢) الطرطوشى : الحوادث والبدع ، ت : عبد المجيد التركى ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ، سنة ١٩٩٠م .؛ سراج الملوك ، دار الكتاب الإسلامى ، ب . ت .

كتب التاريخ :

لاشك أن المصادر التاريخية تحتل أهمية بالغة لأي بحث تاريخي، ومن أهم هذه المصادر:

١ـ مذكرات الأمير عبد الله الزيرى : وتسمى التبيان (١) ، وتحتل أهمية بالغة من حيث مشاركة الأمير عبد الله في الأحداث السياسية في القرن الخامس الهجري ، فهو بشكل مجمل يعد مرآة لعصر ملوك الطوائف ومدى ماكانوا عليه من ضعف أدى ببعضهم إلى التقرب من النصارى وإعطائهم الأموال حفاظاً على سلطانهم . وصاحب هذه المذكرات أحد هؤلاء الملوك فهو الأمير " عبد الله بن بلقين الزيري الصنهاجى " حاكم غرناطة، ومن الذين اتهموا بدفع إتاوات للنصارى والتقرب إليهم حفاظاً على سلطته، وكان أول من خلع على يد المرابطين الذين نفوه فكتب هذه المذكرات في منفاه وحاول فيها الدفاع عن نفسه، ولكنه مع ذلك نقل صورة واضحة لأحداث العصر. وقد فرض تناول دوره والاستفادة من مذكراته قدراً من الحذر كدأب الباحثين الأكاديميين في تناول مذكرات السياسيين، كما ألقت مزيداً من الضوء على الفقيهين " ابن سهل " و " ابن القليعي" اللذين دعيا المرابطين لدخول الأندلس وخلع ملوك الطوائف ، فضمّن حديثه عنهما نبرة من الهجوم حيث اتهمهما بالخيانة وحاول بشكل عام التقليل من شأنهما . وقد أفاد هذا في الباب الخاص بالتاريخ السياسي وبخاصة ما تناوله حول استدعاء المرابطين ومحاربة النصارى .

٢ـ ابن الكردبوس : وهو من مؤرخي القرن السادس الهجري ، وله كتاب (الإكتفاء في أخبار الخلفاء) أو ـ تاريخ الأندلس ـ الذي يعد قطعة من الكتاب المشار إليه ، وقد استعنت بالنسخة التي تولى تحقيقها الدكتور أحمد مختار العبادي والتي نشرت في

(١) الأمير عبد الله الزيرى : التبيان (مذكرات الأمير عبد الله)، نشر : ليفى بروفنسال ، باريس ، سنة ١٩٥٥م .

obeikandi.com

معهد الدراسات الإسلامية بمدريد . وقد اشتمل هذا الكتاب على تاريخ الدولة الإسلامية منذ عصر الرسول (صلى الله علية وسلم) وحتى العصر الأموي، ثم تناول بشكل موجز تاريخ الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى عصر الموحدين . وترجع أهمية هذا الكتاب إلى ما احتواه من وصف للأحداث السياسية في بلنسية في القرن الخامس الهجري وما أورده من معلومات حول استيلاء " السيد القمبيطور" عليها ، والتي اعتمد فيها على المؤرخ البلنسي " ابن علقمه " المتوفى سنة ٥٠٩هـ / ١١١٥م صاحب كتاب (البيان الواضح في الملم الفادح) ،وهو كتاب مفقود، وقد استفاد البحث من هذا الكتاب في التاريخ السياسي وبخاصة في الفصل الخاص ببلنسية ودور الفقيه " ابن جحّاف " (١).

٣ ـ ابن حيان (أبو مروان) ت ٤٦٩هـ : وهو كتاب المقتبس من أبناء الأندلس فهو كتاب لمؤرخ مشهور لا يستغنى عنه أحد من الباحثين في التاريخ الأندلسي . لكن الأجزاء التي تم نشرها منصبة في الغالب على عصر الإمارة الأموية . وقد استفدت من الجزء الذي نشره الدكتور محمود مكي عن عصر الحكم المستنصر ، وخاصة في إشارته إلى الفقيه ابن السقا القرطبي الذي نازع بني جهورفي الزعامة حتى خلصوا منه سنة ٤٥٥هـ . وهو نموذج لانحرافات الفقهاء وانجرافهم وراء الإغراءات السياسية في هذه الحقبة (٢).

٤– الحلل الموشيه : ولهذا الكتاب أهمية بالغة بالنسبة للبحث ، ورغم عدم معرفة مؤلفه إلا أنه أفاد ما يتعلق بالدور السياسي الذي لعبه الفقهاء في فترة البحث ووضح مدى الضعف الذي وصل إليه ملوك الطوائف وعلى رأسهم المعتمد بن عباد وإرساله الجزية لألفونسو السادس ملك قشتالة ، كما أشار إلى تنبهه وإدراكه أهداف ألفونسو

(١) ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ، قطعة من كتاب الإكتفاء فى أخبار الخلفاء ، ت :أحمد مختار العبادى ، معهد الدراسات الإسلامية – مدريد ، سنة ١٩٦٥م .
(٢) ابن حيان : المقتبس من أنباء الأندلس ، ت . محمود مكى ، القاهرة سنة ١٩٧١م .

بعد استيلائه على طليطلة واستنجاده بالمرابطين، كما أشار إلى فتوى الفقهاء لأمير المرابطين يوسف بن تاشفين للقضاء على ملوك الطوائف وضم الأندلس(١).

وقد استفاد البحث من هذا الكتاب كثيراً لتناوله الحديث عن القضاء والإفتاء وأشهر قضاة الأندلس في القرنين الرابع والخامس الهجري، فضلاً عن تناوله اختصاصات القاضي وغير ذلك. هذا بالإضافة إلى تطرقه لبعض الخطط بشكل ضمني كالحسبة والعدالة والصلاة والشرطة وغيرها مما أفاد الباب الحضاري.

٥ ـ ابن عذارى: وهو من مؤرخي القرن السابع الهجري وله كتاب (البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب) وهو مكون من أربعة أجزاء تتناول تاريخ المغرب والأندلس(٢).

واقتصرت الاستعانة بهذا الكتاب على الجزءين الثالث والرابع بشكل رئيسي إلى جانب الجزء الثاني الذي أفدت منه في الفصل التمهيدي فيما يخص العصر الأموي.

وهذا الكتاب يحتوى على مادة علمية غزيرة أفادت الباب الأول الخاص بالتاريخ السياسي في هذا البحث وبخاصة فيما يخص دولة بنى عباد في إشبيلية، وكذلك حوادث بلنسية ودخول النصارى بها وحرق القاضي " ابن جحّاف ".

٦ ـ ابن الخطيب: (٣) وهو من مؤرخي القرن الثامن الهجري أيضاً، وله كتابان الأول (أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام) وينقسم إلى ثلاثة أقسام، تناول القسم الأول المشرق الإسلامي منذ العصر النبوي حتى عصر المماليك وهو مخطوط، والقسم الثاني الخاص بتاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى القرن الثامن الهجري إضافة لتاريخ الممالك المسيحية الأسبانية مثل قشتالة وأراجوان

(١) مؤلف مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، ت . سهيل زكار ، ب . ت .
(٢) ابن عذارى:البيان المغرب ، تحقيق ومراجعة: ج .س كولان، ليفى بروفنسال ، ط٣ ، دار الكتب العربية ، سنة ١٩٨٣م .؛ الجزء الرابع ، ت : إحسان عباس ، الدار العربية للكتاب ، سنة ١٩٨٣م .
(٣) ابن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام – القسم الأندلسى – نشر ليفى بروفنسال ، ط٢ ، بيروت ، سنة ١٩٥٦م .

والبرتغال ، والقسم الثالث عن تاريخ المغرب الإسلامي حتى بداية عصر الموحدين وقد حققه الدكتور أحمد مختار العبادي و محمد إبراهيم الكتاني . وقد استعنت بالقسم الثاني الخاص بتاريخ الأندلس في تناول الباب الخاص بالتاريخ السياسي .

٧ ـ ابن خلدون : " عبد الرحمن "، وهو من أشهر مؤرخي القرن الثامن الهجري ، وقد استعنت بكتابه (العبر وديوان المبتدأ والخبر) إلى جانب (المقدمة) التي احتوت على أبرز أفكاره كمؤرخ ومفكر ، وقد أفادتني فيما تناولته من تعريفات للخطط الاجتماعية والاقتصادية التي تناولتها وكذلك في الحديث عن العلوم الشرعية والعلوم التجريبية وتاريخها في الأندلس مما أفاد الباب الخاص بالتاريخ الحضاري في هذا البحث (١).

وكتابه (العبر) فهو مكون من سبعة أجزاء وجزء ثامن للفهارس ، وقد احتوى الجزء الأول على مقدمته، والأجزاء الستة الباقية عن أخبار العرب وأجيالهم ودولهم ومن عاصرهم من الدول الشهيرة منذ بدء الخليقة إلى عصره ، ثم أخبار البربر وأجيالهم وما كان بديار المغرب خاصة والمشرق عامة .

وقد بدا "أبن خلدون" في كتابه عنصري النزعة لا يتكلم عن المسلمين عامة بل يفرقهم إلى عرب وبربر ويتحيز إلى العنصر البربري رغم جذوره العربية ، وبدا ذلك فيما يخص ملوك الطوائف حيث تناول كل ملك على حده فأفرد جانباً للحديث عن ابن عباد وآخر لابن الأفطس و ابن جهور، وذكر خطأ باديس بن حبوس على أنه باديس بن حبسون كما تحدث عن بنى ذي النون وبنى صمادح وبنى هود ومجاهد العامرى . على أنه بشكل عام كان مقتضباً رغم دقته في ذكر الأحداث، وقد سد بعض الثغرات في التاريخ السياسي من هذا البحث . والواضح أنه انتهج نهجاً موضوعياً فخص كل دولة من دويلات الطوائف بجانب من الدراسة

(١) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، فهرسة خليل شحاته ، م سهيل زكار، سنة ١٩٨١م .

كـتب التراجم

١ ـ ابن الفرضى: " عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدى القرطبي " وهو من مؤرخي القرن الرابع وإن كانت وفاته فى بداية القرن الخامس ، وله كتاب بعنوان (تاريخ علماء الأندلس) وهو مكون من جزءين حققه إبراهيم الإبيارى ، وقد احتوى هذا الكتاب على أعداد كبيرة من التراجم ، وقسمه إلى عشرة أجزاء سار فيها وفقاً للترتيب الأبجدي (١) . وقد استفدت من هذا المصدر في الخلفية التاريخية للبحث حول فقهاء القرن الرابع .

٢ ـ الحميـدى : " أبو عبد الله محمد بن نصر فتوح بن عبد الله بن حميد الأزدى الأندلسى" وهو من مؤرخي القرن الخامس الهجري ، له كتاب (جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس) حققه إبراهيم الإبيارى ويقع في مجلدين مقسمين إلى عشرة أقسام (٢) .

وقد اهتم هذا الكتاب بترجمة لبعض أمراء وخلفاء العصر الأموي ثم تلا ذلك بذكر التراجم وفق الترتيب الأبجدي حتى القرن الخامس الهجري. وقد أفدت من هذا الكتاب فائدة كبيرة في البابين السياسي والحضاري على السواء فيما يخص الشخصيات التي لعبت دورا في أحداث التاريخ السياسي والأدبية وماحواه من معلومات عن فقهاء القرن الخامس الهجري .

٣ ـ القاضـى عيـاض:" أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبى السبتى " وهو من مؤرخي القرن السادس الهجري حيث توفى في منتصفه، وأصله من بسطه في الأندلس ثم انتقل إلي المغرب وأقام بسبتة ، وله مؤلفات كثيرة يأتي في

---

(١) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، جزءان ، ت : إبراهيم الإبيارى ، دار الكتاب المصرى – اللبنانى – القاهرة ، بيروت ، سنة ١٩٨٣م .

(٢) الحميدى : جذوة المقتبس فى تاريخ علماء الأندلس ، ت إبراهيم الأبيارى ، ق١ – ق٢ ، دار الكتاب المصرى اللبنانى – ط٢ ، سنة ١٩٨٣م .

مقدمتها كتابه (ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك) وهو مكون من أربعة أجزاء جمعت في ثلاث مجلدات اختص المجلد الثالث منها بالفهارس (١) . وقد تناول هذا الكتاب في بدايته الحديث عن الإمام مالك ومذهبه وترجيحه وذكر أصحابه وتتابع طبقات المالكية حتى القرن الخامس الهجري ، وقد صدرت له عدة اختصارات . وقد أفادني هذا الكتاب كثيراً لما أورده من تراجم لعدد كبير من الفقهاء وبما ذكره من حوادث تفصيلية سياسية واجتماعية وثقافية وغير ذلك. ولعله قد انفرد بذكر بعض الأحداث مثل حادثة فقهاء طليطلة وخلافهم مع أبو بكر بن الحديدي، وكذلك ذكره لمجالس المناظرات ومناقشات الفقهاء وخلافاتهم وغير ذلك .

وقد قامت وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بمراكش بعمل ندوة عن القاضي عياض وطبعت أبحاثها في ثلاثة أجزاء تابعة لندوة الإمام مالك إمام دار الهجرة، وتمت دراسة شخصية القاضي عياض كفقيه ومؤرخ وأديب وتناولت مؤلفاته وبخاصة كتابه (الشفا) وكتابه (مشارق الأنوار) (٢) .

٤ ـ ابن بشكوال: " أبو القاسم خلف بن عبدالملك بن مسعود بن بشكوال " وهو من مؤرخي القرن السادس الهجري، وله كتاب (الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم) وهو مكون من مجلدين حققه السيد عزت العطار الحسيني .

وقد التزم ابن بشكوال بطريقة الترتيب الهجائي وفقاً لما سار عليه ابن الفرضي مع ذكر أسماء العلماء الغرباء في الأندلس في آخر كل حرف، وهذا الكتاب تكملة لتراجم ابن

(١) القاضى عياض : ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، ت :أحمد بكير محمود ، دار مكتبة الحياة ، دار مكتبة الفكر ، بيروت سنة ١٩٦٧م .

(٢) ندوة القاضى عياض : ندوة وزارة الأوقاف والشئوون الإسلامية – المغرب – مطبعة فضالة – المحمدية – المغرب – ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

الفرضي في كتابه (تاريخ علماء الأندلس) الذي أنهاه في القرن الرابع الهجري حيث أكمل ابن بشكوال التراجم حتى القرن السادس الهجري. ولهذا الكتاب أهمية كبيرة لهذا البحث حيث احتوى على أعداد كبيرة من فقهاء القرن الخامس، وكذلك على معلومات سياسية وحضارية عن هؤلاء الفقهاء أفادت البحث كثيراً ولا يكاد يخلو فصل من فصول هذه الدراسة من الاستعانة به (١).

٥ ـ الضبي: " أحمد بن يحيى الضبي " وهو من مؤرخي القرن السادس الهجري أيضاً وله كتاب (بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس) مكون من مجلدين وحققه إبراهيم الإبيارى ، وهو جامع لحقبة زمنية طويلة تمتد نحو خمسة قرون من الفتح الإسلامي حتى وفاته سنة ٥٩٩هـ . واعتمد الضبي في كتابه على كتب التراجم السابقة له كابن الفرضي والحميدي، وقد أفادني فيما تناوله من ترجمة لفقهاء القرن الخامس الهجري (٢).

٦ ـ ابن الأبار: " محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعي " وهو من مؤرخي القرن السابع الهجري ، وله عدة مؤلفات في الأدب والتاريخ مثل كتاب (الحلة السيراء) وهو كتاب يشتمل على قسمين، وقد استعنت بالنسخة التي حققها الدكتور حسين مؤنس .

وهذا الكتاب يحتوى على مادة علمية غزيرة تفرض ضرورة الاستعانة به حيث يتضمن العديد من التراجم للشخصيات التاريخية في المغرب والأندلس ما بين القرنين الأول والسابع الهجري، فقد تناول العديد من الحكام والوزراء والكتاب والأدباء والفقهاء بشكل واف ودقيق وبأسلوب أدبي لا تنقصه الدقة التاريخية ، فعلى سبيل المثال أفاض في الحديث عن أبى الحزم بن جهور وأبى القاسم بن عباد ومن بعده المعتضد ثم المعتمد

(١) ابن بشكوال : الصلة فى تاريخ أهل الأندلس ، جزءان ، الدار المصرية للتأليف والترجمة .،سنة١٩٦٦م ، طبعة مكتبة الخانجى ، القاهرة ، سنة ١٩٩٤م .

(٢) الضبى: بغية الملتمس فى رجال الأندلس ، ت : إبراهيم الإبيارى،ج ١ – ج٢، دار الكتاب اللبنانى – دار الكتاب المصرى ، بيروت، سنة ١٩٨٩م .

وغيرهم وهى جوانب أفدت منها في الباب السياسي ، كما ألقى الضوء على بعض الشخصيات التي لم تتعرض لها المصادر بشكل مباشر مثل أبو الوليد الوقشي . وكتاب (التكملة لكتاب الصلة) وهو تكملة لكتاب ابن بشكوال ، ويتألف الكتاب الأخير من مجلدين تولى فيهما الترجمة لأسماء الملوك والعلماء الأندلسيين وفق ترتيب أبجدي مع ذكر أسماء وتراجم الغرباء في آخر كل حرف وهى نفس طريقة ابن بشكوال ،وهو مكون من مجلدين ، طبعة مدريد سنة ١٨٨٧م ، وقد أفادني هذا الكتاب في تراجم فقهاء القرن الخامس الهجري (١).

النباهى (أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهى المالكى الأندلسى):

وهو من رجال الدولة في مملكة بنى نصر بغرناطة في القرن الثامن الهجري، وقد اختص كتابه (تاريخ قضاة الأندلس) أو المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا بالحديث عن الفقهاء الذين تولوا منصب القضاء أو من رفض منهم قبوله، ثم تناول أشهر قضاة الأندلس حتى القرن الثامن ، وكتابه مكون من بابين . الباب الأول يبحث في القضاء عامة والمسائل المتعلقة به. أما الباب الثاني فهو تراجم القضاة أندلسيين ومغاربة.

وقد أفاد هذا الكتاب البحث في حديث عن أشهر قضاة الأندلس فى القرنين الرابع والخامس الهجري، فضلاً عن أنه تناول اختصاصات القاضي وغير ذلك. إضافة إلى تطرقه لبعض الخطط المتعلقة بالقضاء بشكل ضمني كالحسبة والعدالة والصلاة والشرطة وغيرها مما أفاد الدراسة في الخطط الإدارية (٢).

(١) ابن الأبار : الحلة السيراء ، ت : حسين مؤنس ، جـ١ – جـ٢ ، سنة ١٩٦٣م .
(٢) النباهى : المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا المعروف بتاريخ الأندلس ، المكتب التجارى للطباعة والنشر بيروت ، ب . ت ، يشير الدكتور / السيد عبد العزيز سالم إلى غلبة الطابع الدينى وتراجم الفقهاء والقضاء على الكتابات الأندلسية ، أنظر التاريخ والمؤرخون العرب ، دار النهضة العربية ، الإسكندرية، سنة ١٩٨٦م ، ص١١٤

كتب الفقه :

١ ـ **الإمام مالك بن أنس:** كان من الضروري الاستعانة بكتابه (الموطأ) سواء لأن موضوع الدراسة يمس جوانب فقهية في دراسة الفقهاء أم لأنه يمثل المذهب السائد في الأندلس موضوع الدراسة . وقد استعنت بالنسخة التي قام على تحقيقها محمد فؤاد عبد الباقي، وهو مكون من جزءين . وقد أفادني هذا الكتاب في المقدمة التي كتبها الدكتور محمد كامل حسين والتي تناولت حياة الإمام مالك وعلمه وشيوخه إلى جانب استفادتي من الكتاب نفسه فيما تعرض له من نظريات ومدى التزام الفقهاء بها (١).

٢ ـ **سحنون التنوخي:** (أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخى) وله كتاب (المدونة الكبرى) الذي انتشر في المغرب . بحكم انتمائه . وكذلك في الأندلس منذ بداية دخول المذهب المالكي فيه . وهذه المدونة شرح لكتاب (الموطأ) ومكونة من أربعة مجلدات ولها عدة شروح ومختصرات كما لغيرها من أمهات كتب المذهب المالكي. وقد استفدت منها في الفصل التمهيدي عند تناول الحديث عن المذهب المالكي وإمامه (٢).

٣ ـ **ابن سهل :** " أبو الأصبغ عيسى بن سهل الأسدي" وقد استعنت بكتابه (الأحكام الكبرى) أو . الإعلام بنوازل الأحكام ، وترجع أهمية كتابه إلي أنه معاصر لفترة البحث ، كما أن نوازله كشفت اللثام عن الكثير من النواحي الاجتماعية والاقتصادية ، وكذلك الوثائق الخاصة بالوظائف الإدارية كالقضاء ما يتعلق بها من الحسبة والمظالم والشرطة وغيرها .

---

(١) الإمام مالك : الموطأ ، ت : محمد فؤاد عبد الباقى ، المكتبة الثقافية ، بيروت ، ط٣ سنة ١٩٨٢م .
(٢) ابن سحنون : المدونة الكبرى ، دار الفكر ، بيروت ، ب . ت .؛ القاضى عياض : ترتيب المدارك ، جـ٣ ، ص ٥٨٥ ، عن ترجمة ابن سحنون .

openkandil.com

ولهذا الكتاب أهمية بالغة ويعتبر من المعولات الأساسية لهذه الدراسة إلى حد كبير حيث أشار إلى الدور الاجتماعي الذي قام به الفقهاء سواء من حيث الخطط التي تولوها أو من حيث الإشارة إلى العقاب الذي يناله المعوجين منهم إذا خالفوا المنهج القويم. كما وضح المكانة الكبيرة التي حظي بها الفقهاء في المجتمع الأندلسى . حيث أعتبرهم الناس قدوة لهم وتبركوا ببعضهم إضافة إلي تبرع الفقهاء بالقيام بمهام اجتماعية دون تكليف رسمي كالتكفين والتغسيل والدفن وقراءة القرآن على الموتى .

ولم تخل النوازل من الإشارة إلى الدور السياسي للفقهاء من خلال التعرض لقضايا المنحرفين سياسياً واجتماعياً كابن السقا القرطبى وزير دولة بنى جهور.

كذلك أشارت النوازل إلى الدور الإصلاحي للفقهاء في تخليص المجتمع من أهل الشر والفساد والخارجين عن الدين وتشجيع الحكام لذلك، وكذلك من الوثائق التي تولى تحقيقها الدكتور خلاف في شئون العمران أو في محاربة الأهواء والبدع وغير ذلك والتي أفادت في تغطية الدراسة الحضارية أيضاً (١) .

٤ ـ **ابن فرحون:**" إبراهيم بن محمد بن فرحون اليعمرى المالكى " الذي عاش في القرن الثامن الهجري وله كتاب (تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام) وهو مقسم إلى ثلاثة أقسام تناول فيها الحديث عن القضاء وهو ما أفدت منه في الباب الحضاري لما يحتويه من نظريات عن المذهب المالكي ، وكذلك كتابه (الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب) والذي يحوى على تراجم للعديد من الفقهاء وقد

(١) ابن سهل: مخطوط الإعلام بنوازل الأحكام ، نشر المخطوط من جزئين وهو مكون من أربعة أسفار ، تحقيق : نوره بنت عبد الله التويجرى ، ط السعودية، سنة ١٩٩٥م .؛محمد عبد الوهاب خلاف :تاريخ القضاء في الأندلس من الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي ،القاهرة ،سنة١٩٩٢م .

أفاد ذلك في سد ثغرات جوانب كثيرة من البحث سواء في التاريخ السياسي والحضاري (١).

٥ ـ الونشريسى : " أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن على الونشريسى " وقد عاش في أواخر القرن الثامن وحتى العقد الرابع من القرن التاسع الهجري ، وله كتاب (المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب) وقد حققه مجموعة من الفقهاء بإشراف محمد حجى ، وهو مكون من ثلاثة عشر جزءاً والجزء الأخير للفهارس . وهذا الكتاب يحتوى على أعداد هائلة من النوازل وهى مجال تطبيقي لما أسهبت في ذكره كتب الفقه ، وصنفه إلى موضوعات فقهية متعددة حسباً للنوازل كجزء للقضاء والآخر للأحباس وثالث عن المواريث وهكذا . مما أفاد الباب الخاص بالتاريخ الحضاري بشكل كبير (٢).

ولم يكن الونشريسى جامع للفتاوى فقط وإنما كان ناقداً لاذعاً يبدى رأيه حولها بالتأييد أو المعارضة مبدياً سبب ذلك . وقد أفدت من هذا الكتاب فى النواحى الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية . وقد قام فقيهان مغربيان بتلخيص هذا الكتاب في مجلد واحد .

كتب الحسبة :

وقد استعنت بالعديد منها ومن أهمها (ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب) حققها ليفي بروفنسال وهى عبارة عن(رسالة ابن عبدون فى القضاء والحسبة) وهذه الرسالة تشير إلى وظيفة القضاء وأهميتها وشروط من يتولاها

(١) ابن فرحون: الديباج المذهب فى معرفة أعيان المذهب ، ت : محمد الأحمدى أبو النور ، دار التراث ، القاهرة ، سنة ١٩٧٤م ؛ تبصرة الحكام فى أصول الأقضية ومناهج الأحكام ، ج١ – ٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، سنة ١٣٠١هـ .

(٢) الونشريسي :المعيار المعرب والجامع المغرب في فتاوى الأندلس والمغرب ،ت:محمد حجي ،جـ١ ـ جـ ١٢،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،١٩٨١م .؛ أنظر بحث د / كمال أبو مصطفى : جوانب من الحياة الإجتماعية والإقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الاسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي ضمن كتاب دراسات مغربية وأندلسية في التاريخ والحضارة ، مركز الاسكندرية للكتاب ،سنة ٢٠٠٧م

obeikandl.com

واختصاصاته، ووظيفة الوزارة ومدى التعاون بين القاضي والوزير. وكذلك وظيفة المحتسب واختصاصاته، كما تتضمن موقف الفقهاء من أهل الذمة . كما تناول خطة المدينة وصاحبها وأعوانه وكيفية اختيارهم ومراقبتهم وهى أمور انفردت بها هذه الرسالة كما أشارت إلى وظيفة صاحب المواريث. وترجع أهمية (رسالة ابن عبدون) إلى قربها من فترة البحث حيث عاصر ابن عبدون عصر المرابطين ولهذا استفدت بها كثيراً (١) .

أما الرسالة الثانية فهي لابن عبد الرؤوف (في آداب الحسبة والمحتسب) وقد احتوت على النظر فى الصلاة والجنائز والصيام والزكاة والأحباس والصنائع وأصحاب الحرف ، وتناولت شروط كل من صاحب الصلاة وصاحب الأحباس وكذلك آداب المسجد ومع أن ذلك كان مختصراً إلى حد ما إلا أنها أفادت البحث كثيراً فيما يخص صاحب الأحباس والمحتسب ، كما تناولت من خلال ذلك الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في الأندلس بشكل أفاد الفصل الخاص بالوظائف الإدارية التي تولاها الفقهاء في فترة البحث (٢) .

والرسالة الثالثة هى (رسالة الجرسيفى في الحسبة) وتعرضت لواجبات المحتسب التي أفادت هذا الجانب في الدراسة (٣) .وهذه الرسائل في مجموعها أفادت النواحي الاجتماعية والاقتصادية في البحث .

وهناك كتب أخرى فى الحسبة مثل كتاب السقطى(في أدب الحسبة) وهو كتاب غير محقق تناول الحسبة من كل جوانبها وكذلك عن المحتسب وأعوانه وكيفية إختيارهم والشروط الواجبة فيهم وهو ماأفاد الدراسة حول هذا الموضوع (٤) .

(١) ابن عبدون : رسالته فى القضاء والحسبة ، ت : ليفى بروفنسال ، القاهرة ، سنة ١٩٥٥م .
(٢) ابن عبد الرؤوف : فى آداب الحسبة والمحتسب ، ت : ليفى بروفنسال ، المعهد العربى الفرنسى للآثار الشرقية القاهرة ، سنة ١٩٥٥م .
(٣) الجرسيفى : رسالة فى الحسبة ، ت : ليفى بروفنسال ، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ،سنة ١٩٥٥م .
(٤) السقطى : فى آداب الحسبة ، سنة ١٩٧٥م .

كتب الأدب :

١ ـ ابن خاقان: " أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله القيسى الإشبيلى " ويعد من أدباء القرن الخامس وبداية السادس الهجرى ، وله كتابان الأول (قلائد العقيان) والثانى (مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس) (١) .

أما عن كتابه الأول فهو مؤلف من أربعة أقسام القسم الأول (في محاسن الرؤساء وأبنائهم ودرج نموذجات من مستعذب أبنائهم) والقسم الثاني(في غرر حلية الوزراء وفقر الكتاب واللغاء) والقسم الثالث (لمع أعيان القضاة ولمح أعلام العلماء السراة) والرابع (بدائع نبهاء الأدباء وروائع فحول الشعراء) .

ولهذا الكتاب قيمته التاريخية إضافة إلى قيمته الأدبية، وقد استفدت منه خاصة فيما تناوله للعدد من القضاة وكذلك التعريف ببعض الشخصيات مثل"عبد الملك بن رزين"و"أبو عيسى بن لبون"و"عبد الله بن عائشة" وغيرهم في الباب الخاص بالتاريخ السياسي ، أما في الباب الخاص بالتاريخ الحضاري فقد أفادني فيما ذكره من أشعار للفقهاء مثل" أبو الوليد الباجى" و"أبو محمد البطليوسى ".

أما كتابه الثاني فقد تناول فيه تراجم لأعداد كبيرة من الفقهاء وقد أفدت منه في التعريف بهم .

٢ ـ ابن بسام: "أبو الحسن على بن بسام الشنترينى" ويعد من أدباء القرن السادس الهجري ، وله كتاب (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة) الذي احتوى على تراث القرن الخامس الهجري بأسره ، واعتمد ابن بسام في كثير من جوانب كتابه على ابن حيان في كتابه (المتن) . وينقسم كتاب ابن بسام إلى أربعة أقسام كل قسم

---

(١) ابن خاقان : قلائد العقيان ومحاسن الأعيان ، ت . حسين يوسف خريون ، جـ١ – جـ٤ –مكتبة المنار – الأردن سنة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .؛ مطمح الأنفس ومسرح التأنس فى ملح أهل الأندلس، ت : محمد على شوابكه ، بيروت، سنة ١٩٨٣م .

مكون من جزءين ، وقد قسمه وفق الأقاليم الجغرافية الأندلسية ، فالقسم الأول يتحدث عن قرطبة وما يجاورها ويتناول الثاني إشبيلية في غرب الأندلس والثالث تناول الجانب الشرقي وبلنسية ، أما الرابع فقد تناول الحديث عن الغرباء الذين وفدوا إلى الأندلس من رجال العلم والأدب .

وقد كان لكتاب ابن بسام فائدة عظيمة لهذا البحث بكافة أقسامه سواء الباب السياسي أو الحضاري وبخاصة أنه قد أبدى رأيه في الأحداث وتعاطفه مع بعضها ، كما انفرد تقريباً بتناول سياسة ابن السقا وأفاض في ترجمة الفقيه "أبو حفص بن عمرالهوزني" . فضلاً عن الاستفادة بما تناوله من نثر وشعر في الجوانب التي عالجت هذه الأمور في الدراسة (١) .

كتب موسوعية :

١ ـ **المقّري** : " أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن محمد المقّري التلمسانى " وهو من أدباء القرن الحادي عشر الهجري ، وقد استعنت من مؤلفاته بكتابين الأول كتاب (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب) وقد ذكر فى مقدمته أنه قسمه إلى قسمين قسم يتعلق بأخبار الأندلس والثاني لترجمة لسان الدين بن الخطيب . وقد اشتمل هذا الكتاب على أحد عشر جزءاً وقام بتحقيقه يوسف محمد البقاعي، وتناول فيه تاريخ الأندلس سياسياً واجتماعياً وحضارياً ولهذا يعد كتاباً شاملاً يهم الباحثين فى تاريخ الأندلس . وعلى الرغم من أنه كان أديباً إلا أنه تحرى الدقة فيما تناوله من أحداث سياسية مفصلة، كما تناول الكثير من الفقهاء في القرن الخامس الهجري شاملاً مشاركاتهم السياسية والحضارية، فضلاً عن تتبعه لتطور المذهب المالكي منذ دخوله الأندلس

(١) ابن بسام : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، ت : إحسان عباس ، دار الثقافة ، ق١ – ق٤ ، بيروت ، سنة ١٩٧٩م .

وترجمة لشيوخه، وكذلك تناول بعض جوانب من رسالة ابن حزم (في فضل الأندلس) وكذلك تذييل ابن سعيد. ويعد من أهم المصادر التي استند إليها هذا البحث .

أما كتابه الثاني (أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض) فهو مكون من ثلاثة مجلدات شارك في تحقيقها مصطفى السقا وإبراهيم الإبيارى وعبد الحفيظ شلبى . وقد سار فيه على نفس طريقة كتابه الأول فيذكر الحدث تارة ويتعرض لترجمة بعض الشخصيات ثم يعود إلى تكملة الحدث، وقد تميز بأسلوبه الأدبي إلى جانب التزامه بالدقة والتفصيل لما تناوله من أحداث تاريخية أفادت البحث بالقدر الذي تناوله عن أحداثه وشخصياته (١) .

كتب الجغرافيا :

١ـ **ابن سعيد المغربي:** " أبو الحسن على بن موسى بن سعيد " وهو من أدباء القرن السابع الهجري أيضاً، وله كتاب(المغرب في حلى المغرب) وقد ضاع معظمه ولم يتبق منه سوى أجزاء بسيطة تضمنت تراجم لبعض الشخصيات الأندلسية في العصر الأموي وحتى نهاية عصر الموحدين ، وهو كتاب من جزءين حققه الدكتور شوقي ضيف .

وقد أفدت من هذا الكتاب في الباب الحضاري وبخاصة فيما ذكره من أشعار لشخصيات اهتمت بالأدب ، على أنه لم يكن وافياً في التعريف بالشخصيات وقصر اهتمامه على نتاجهم الأدبي وإن كان قد ترجم لكثير من الفقهاء مثل ابن حزم وأبو إسحاق الألبيرى وأبو حفص الهوزنى وغيرهم (٢) .

---

(١) المقرى : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، دار الفكر ، بيروت، سنة ١٩٨٦م .؛ أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض : ت : مصطفى السقا وإبراهيم الإبيارى ، جـ١ – جـ٢ ، القاهرة، سنة ١٩٦٢م .

(٢) ابن سعيد المغربى : المغرب فى حلى المغرب ، جـ١ – جـ٢ ، دار المعارف ، سنة ١٩٩٣م . وقد استعنت بمؤلفات أخرى لنفس المؤلف.

٢ ـ **ابن حوقل:**" أبو القاسم بن حوقل النصيبي" وقد عاش في القرن الرابع الهجري وزار الأندلس سنة ٣٧٣هـ،وله كتاب(صورة الأرض) الذي تناول فيه وصف مدن الأندلس وذكر أحوال أهلها الاجتماعية ، كما تناول بعض الجوانب التاريخية كحديثه عن الصقالبة وأصلهم وبناء مدينة الزهراء وثورة عمر بن حفصون وغير ذلك وقد استعنت به فى التعريف ببعض مدن الأندلس (١).

٣ ـ **العذري**:" أحمد بن عمر بن أنس العذري الدلائي" وقد عاش في القرن الخامس الهجرى وله كتاب (ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك) وقد حققه عبدالعزيز الأهوانى .

وقد قسم الأندلس تبعاً لقسمة قنسطنطين وهى الأندلس الأدنى ـ الأندلس الأقصى ـ الأندلس الغربي ـ الأندلس الشرقي، وأفرد عناوين لكور الأندلس وأقاليمها وتحدث عن كل منهم على حده . كما تميز هذا الكتاب بالاهتمام بالطرق والمسالك ، كما تناول بعض الأحداث التاريخية (٢).

٤ ـ **البكري** :" أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري " وقد عاش في القرن الخامس الهجري أيضاً ، وتتلمذ على يد العذري وتعلم منه الكثير ، وهو إلى جانب كونه فقيهاً معاصراً لفترة البحث فإنه كان جغرافياً وأديباً شارك بمؤلفاته في عدة مجالات ، ومن كتاباته الهامة كتابه في الجغرافيا (المسالك والممالك) والنسخة التي استعنت بها حققها عبد الرحمن الحجى (٣).

٥ ـ **الإدريسى**:" أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي الحسنى " عاش في القرن السادس الهجري، وهو جغرافي مشهور ينتمي إلى المغرب، وقد جاب

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ط٢ ، ليدن ، سنة١٩٦٧م .
(٢) نشر هذا الكتاب فى معهد الدراسات الإسلامية – مدريد ، سنة ١٩٦٥م .
(٣) أنظر بحث د / محمد أبو الفضل عن البكرى والبكريون فى ولبه وشلطيش – ضمن كتابه دراسات فى تاريخ وحضارة الأندلس ، دار المعرفة الجامعة ، سنة ١٩٩٦م .

أوروبا وصقلية. وله كتاب (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) الذي ألفه بناءاً على طلب ملك صقلية روجار النورماندى ولذا سمي كتابه الكتاب الروجاري . وقد اتبع منهجاً معيناً في التأليف حيث كان يرسل أولاده إلى البلدان للتعرف عليها وتسجيل ملاحظاتهم وأضاف إلى ذلك من قراءاته ، ويعد القسم الأوروبي من أفضل جوانب كتابه وقد استعنت بالجزء الثاني الخاص بالأندلس حيث أفاد كثيراً في تعريف مدنها (١).

٦ ـ **ابن الشباط**: " محمد بن على بن الشباط المصرى التوزرى " وله قطعه في وصف الأندلس وصقلية من كتاب (صلة السمط وسمة الرهط) حققها الدكتور أحمد مختار العبادي. وقد تناول في كتابه هذا فتح المسلمين للأندلس مزج فيه بين الجغرافيا والتاريخ ووصف العديد من كور الأندلس معتمداً في الغالب على الجغرافيين السابقين مثل البكري . وأهم ما تميز به هذا الكتاب الشرح والتحقيق في نهايته لكيفية النطق الصحيح لمعظم مدن الأندلس وأوضح بعض معاني الكلمات الواردة في كتابه (٢).

٧ ـ **الحموى** : " ياقوت " وقد عاش في القرن السابع الهجري وهو صاحب كتاب (معجم البلدان) وحققه فريد عبد العزيز الجندي وهو مكون من خمسة أجزاء سار فيها وفق ترتيب الحروف ، وقد استعنت بأجزاء عديدة منه في التعريف بكور ومدن الأندلس ويعد من أفضل المعاجم الجغرافية ، وقد تميز بذكر معظم المدن الأندلسية أكثر من غيره (٣).

---

(١) الإدريسى : نزهة المشتاق فى إختراق الآفاق ، جـ٢ ، ب ، ت .
(٢) ابن الشباط : صلة الشمط وسمة الرهط ، ت : أحمد مختار العباد ، نشر المعهد المصرى للدراسات الإسلامية ، مدريد ، مج ٤ ، سنة ١٩٦٧م ، سنة ١٩٦٨م .
(٣) ياقوت الحموى:معجم البلدان ، ت : فريد عبد العزيز الجندى ، ج٤ ، دار الكتب العلمية – بيروت ،سنة ١٩٩٠م .

obeikandl.com

٨- **الحميرى** : " محمد بن عبد المنعم الحميري " وقد عاش في القرن الثامن الهجري وله كتاب (الروض المعطار في خبر الأقطار) ويعد معجماً جغرافياً وتاريخياً واسعاً حيث يصف الأقطار ومميزاتها جغرافياً وأهم الأخبار والوقائع التاريخية المتصلة بها وهو لهذا من أفضل المعاجم الجغرافية وبخاصة فيما يتعلق بالأندلس ، والنسخة التي استعنت بها من تحقيق إحسان عباس . وقد نقل عنه القلقشندى في كتابه (صبح الأعشى) . أما الحميرى فقد استعان فى كتابه بكل من الإدريسى والبكرى[١]

المراجع الحديثة والدوريات :

هناك العديد المراجع التي أفادت البحث بشكل كبير مثل كتاب ليفى بروفنسال الإسلام في المغرب والأندلس الذي ترجمة الدكتور السيد عبد العزيز سالم والأستاذ محمد صلاح الدين المنجد وخاصة فى الجزء الخاص بالسيد القنبيطور ودخوله إلى بلنسيه واستيلائه عليها وعن الدور الذي لعبه ابن جحّاف في الدفاع عن بلنسيه . وأحداث بلنسيه في شرق الأندلس بشكل مفصل .

وكتاب أويثى ميراندا عن تاريخ مدينة بلنسيه والمكون من ثلاثة أجزاء وما يميز هذا المرجع أنه مؤلفه استوفى كل المصادر العربية والأسبانية وتناول تاريخ المدينة بدقة[٢]

ومن المراجع التى خدمت الفصل الخاص بدور الفقهاء فى بلنسيه رسالة . د. كمال أبو مصطفى عن تاريخ مدينة بلنسيه والتى طبعت إلى كتاب بعد ذلك والتى أستوفت فترة البحث[٣] ، وكذلك بحث الدكتور / محمد أحمد أبو الفضل عن قضاة ثوار فى

---

١) الحميري :الروض المعطار في خبر الأقطار،دار ناصر للثقافة،إحسان عباس،ط٢سنة١٩٨٢م.

2)Huici Miranda: Historia musulmana de Valincia Ysu region.

٣)كمال أبو مصطفى :تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية في العصر الإسلامي ،مركز الإسكندرية للكتاب ،ب.ت

الأندلس ، وأيضاً بحث الدكتور / حسين مؤنس عن السيد القنبيطور وعلاقته بالمسلمين وصراعه مع ابن حجاف وأطماعه فى بلنسيه .

ومن المراجع الرئيسية أيضاً موسوعة أستاذنا محمد عبد الله عنان دولة الإسلام فى الأندلس وقد أفدت منها فى كتابةالباب الأول الخاص بدور الفقهاء السياسى (١) وخاصة فى الجزء الخاص بعصر ملوك الطوائف

ويعتبر من أمهات المراجع الأندلسية التي لا يستغنى عنها الباحث في التاريخ الأندلس في أي فترة من فتراته لتميزه بالدقة والتفصيل والتحليل.

كما تعد كتابات الدكتور / السيد عبد العزيز سالم أيضاً من المعولات الأساسية في الكتابة عن تاريخ الأندلس . وقد أفدت بها كثيراً خاصة كتابه عن تاريخ مدينة قرطبة فيما يختص بدور الفقهاء السياسي فى مدينة قرطبة وحديثة عن حكم دولة بنى جهور، ولا يفوتنا أن نشير إلى كتابات الدكتور / محمد عبد الوهاب خلاف التي أفادت البحث بشكل كبير ، وخاصة كتابة " القضاء في الأندلس " الذي ألقى الضوء على الفقهاء الذين تولوا خطة القضاء وما يتعلق بها من خطط وأفاد ذلك الفصل الخاص بالخطط الإدارية التي تولاها الفقهاء (٢) .

كما أفدت أيضاً من مجموعة أبحاثه " تطور المدرسية المالكية في الأندلس " وخطة العدالة في الأندلس " وخطة المدينة في الأندلس " وكلها من منشورات كلية الآداب ،جامعة القاهرة – فرع بنى سويف ، وقد استعنت بها فى كتابه التاريخ الحضارى للفقهاء بشكل عام .

---

١)محمد عبد الله عنان :عصر ملوك الطوائف حتى عصر المرابطين ،مكتبة الخانجي ،القاهرة ،سنة ١٩٨٨م

٢)محمد عبد الوهاب خلاف :تاريخ القضاء في الأندلس من الفتح الإسلامي حتى القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي ، القاهرة سنة ١٩٩٢م .؛تطور المدرسة المالكية في الأندلس ،كلية الأداب ـ جامعة القاهرة ـ فرع بني سويف ،ط سنة١٩٩٣م .

obeikandl.com

كما أفدت كثيراً من كتاب الدكتور أمحمد بن عبود عن التاريخ السياسي والاجتماعي لإشبيلية خاصة في الفصل الخاص بحكم أسرة بنى عباد لإشبيليه في الباب الخاص بالتاريخ السياسي ، وخاصة في مسألة حرق المعتضد بن عباد كتب ابن حزم لعدائه لملوك الطوائف وانتمائه إلى الحزب الأموي(١).

ومن المراجع الهامة أيضاً كتاب الدكتور محمد عبد الحميد عيسى " تاريخ التعليم في الأندلس " ، والذي أفدت منه بشكل رائع في كتابه مساهمات الفقهاء في الحياة التعليمية في الأندلس(٢).

وكتاب الدكتور كريم عجيل عن "الحياة العلمية في بلنسيه " وأشار فيه إلى مساهمات فقهاء بلنسبه في الحياة العلمية ، كما أشار إلى دور الفقهاء في حركة التعليم كجزء من الحياة العلمية أيضاً (٣) وفى كتابة إسهامات الفقهاء العلمية وموقفهم من بعض العلوم والأفكار الفلسفية . وغلبة المذهب المالكي على فقهاء الأندلس (٤).

إضافة إلى ذلك المجلات والدوريات التي بذلت جهداً في التنقيب والبحث عنها مثل بحث د / محمد عبد الجليل " كيف ساعد الفقهاء يوسف بن تاشفين على خلع ملوك الطوائف " وقد أفدت منه في كتابة الدور السياسى للفقهاء في القضاء على ملوك الطوائف والدفاع عن الوحدة الأندلسية (٥)

---

١)امحمد عبود :التاريخ السياسي والاجتماعي لإشبيلية في عهد ملوك الطوائف ، تقديم وليم مونتجمري ،جائزة المغرب سنة١٩٨٣م.

٢) محمد عبد الحميدعيسى :تاريخ التعليم في الأندلس،إشراف لويس سواريت فرنانديث ـ تقديم عبد الغني عبود ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة سنة ١٩٨٢م .

٣) كريم عجيل :الحياة العلمية في بلنسية ، مؤسسة الرسالة ،بيروت ،سنة١٩٧٦م .

٤) محمد فؤاد الأهواني :الفلسفة في الأندلس ،كلية الأداب ،جامعة القاهرة ،مج١٥ ،ج١،سنة١٩٥٣م .

٥) نشر الملتقى الأسباني الرابع ، المعهد الأسباني التونسي ،سنة ١٩٨٣م .

openkanal.com

كما أفدت أيضاً من بحث الدكتور رضوان البارودي عن ابن السقا القرطبى مدبر دولة بنى جهور بقرطبة [١] ، وقد ألقى الضوء على هذا الفقية وانحرافه وانجرافه في التيار السياسي وبعده عن المنهج السليم وموقف الفقهاء منه .

وكذلك بحث الدكتور محمد أبو الفضل " أبو عبيد البكرى والبكريون في ولبه وشلطيش " وأفاد في كتابه تاريخ الفقهاء السياسي أيضاً ، وأيضاً بحثه قضاة ثوار في الأندلس . وقد تحدث فيه عن القاضي ابن جحاف ودوره السياسي في بلنسيه وبحثه قضاه الجماعة في الأندلس في عصر الدولة الأموية أفاد الباب الخاص بالتاريخ الحضاري وخاصة الفصل الذي يتناول الخطط الإدارية.

وبحث الدكتور كمال أبو مصطفى " بنوزرين ودورهم السياسي والحضاري في شنتمرية الشرق "[٢] وقد أفاد الجوانب السياسية من البحث أيضاً بحث الدكتور محمود مكي"التشيع في الأندلس[٣] وبحث محمد فؤاد الأهواني عن " الفلسفة في الأندلس ".

أما عن المنهج الذي اتبعته في معالجة فصول هذه الدراسة فهو منهج موضوعي عالج كل موضوع على حده سواء في تناول الجانب السياسي أو الجانب الحضاري مع العناية والالتزام بالتسلسل الزمني التاريخي الذي يعد أساساً في البحث التاريخي . الربط بين الفصول قدر الإمكان حتى يتكامل الموضوع طبقاً للمنهج البحث التاريخي ويشكل في النهاية نسيجاً واحداً وصورة متكاملة عن فقهاء الأندلس في القرن الخامس الهجري .

ولله الفضل من قبل ومن بعد وعليه قصد السبيل ...

د / عبير زكريا سليمان

كلية الآداب – جامعة سوهاج

---

١) رضوان البارودي:ابن السقا القرطبي مؤسس دولة بني جهور بقرطبة ،كلية التربية ـ جامعة طنطا ـ فرع كفر الشيخ، سنة ١٩٩١م .

٢) جمع الدكتور كمال أبو مصطفى هذه الأبحاث أيضاً في كتابه دراسات مغربية وأندلسية في التاريخ والحضارة ، مركز الإسكندرية للكتاب ،ط سنة ٢٠٠٧م .

٣) محمود مكي : التشيع في الأندلس ،المعهد المصري للدراسات الإسلامية ،مدريد ،سنة١٩٥٤م.

obeikandl.com

تـمـهـيـد
دور الفقـهاء في الأندلس في عصر الدولة الأموية

ما إن استقر الأمر للفاتحين المسلمين في أرض الأندلس سنة ٩٤هـ / ٧١٢م حتى ظهر أن أغلبهم يأخذون بأحكام المذهب الأوزاعي في تصريف أمور حياتهم . ولم يكن ذلك نتيجة ضغط من قبل الخلافة الأموية لكنه كان راجعاً إلى أن نسبة كبيرة من الفاتحين كانوا من بلاد الشام التي عاش فيها صاحب هذا المذهب (١) ، فقد كان الإمام الأوزاعى من المجاهدين الذين رابطوا في مدينة بيروت التي كانت في ذلك الوقت رباطاً مع العدو البيزنطي ، لهذا اهتم مذهبه بصفة خاصة بالتشريعات الحربية وأحكام الحرب والجهاد(٢) ، وهذا الاهتمام كان يناسب وضع الأندلسيين في هذه الفترة الأولى من حياتهم القائمة على الحرب والغزو، ولهذا اعتنقوا مذهب الإمام الأوزاعى الشامي (٣) .

على أن هذه الأسباب قد دعت إلى سرعة إنحساره وتواريه ليفسح المجال لمذاهب أخرى أكثر ملاءمة للأوضاع الجديدة ، فضلا عن ارتباط هذا المذهب بحياة صاحبه الذي لم يخلف عدد كبير من تلاميذ تواصل توطيد المذهب الذي كان محدوداً في آرائه ومؤلفاته .

---

(١) أبو عمر عبد الرحمن بن محمد الأوزاعي ، والأوزاعى من بطن حمدان ، والأوزاع قرية بدمشق . ولد سنة ٨٨هـ / ٧٠٧م وسكن فى بيروت ومات بها سنة ١٥٧هـ / ٧٧٤م ، وكانت الفتيا تدور فى الأندلس على رأيه حتى زمن الأمير هشام . أنظر : المقرى : نفح الطيب ، ج٤ ، ص٢١٧ ٢١٨.؛ابن الجوزى : صفة الصفوة ، جـ ٢، جـ٤ ، دار الفكر ـ بيروت ، ط سنة١٩٩١م ، ص ١٧٨ ـ ١٨١ .؛ الزركلى : الأعلام ، جـ ٣ ، دار العلم للملايين، بيروت ط سنة ١٩٧٦م ، ص ٣٢٠ .؛ حسين مؤنس : تاريخ المغرب والأندلس ، مطابع الشعب ـ سنة ١٩٨٠م ، ص ٢٦٩ .؛ شوقى ضيف : عصر الدول والإمارات فى الأندلس ـ دار المعارف ـ القاهرة ط سنة ١٩٨٩م ، ص ١١١ .

(٢) محمد عبد الوهاب خلاف : تطور المدرسة المالكية فى الأندلس ، ص٢٢١ . غير أنه من الملاحظ أن نسبة المذهب الى العسكرية لاتتفق مع طبيعة المذاهب الفقهية .

(٣) Mahmud A. Makki : Ensayo Sobfre los aportaciones Orientales en la Espana Musulmana , en , Revita del Instituto de Estudios Islamicos en Madrid , V IX Madrid 1961 , pp . 129 - 131

وشهدت الأندلس تغيراً في أوضاعها السياسية بعد أن دخل إليها عبد الرحمن الداخل في أعقاب قيام الدولة العباسية (سنة ١٣٢هـ / ٧٥١م) ، وأقام فيها الأمويون حكماً (١٠ ذو الحجة١٣٨هـ / ٧٥٧م) ، ثم خلافة (٣١٦ هـ / ٩٢٨م) ، مناهضة للخلافة العباسية .

وخلال فترة التغير هذه والتى تواءمت مع الاتجاه العام للابتعاد عن المذهب الأوزاعى ، بدا أن المذهب المالكى هو المذهب الذى تسيّد الساحة الفقهية فى الأندلس .

على أن ذلك لايعنى أن الأمويين فى الأندلس قد أسهموا فى تسيّد المذهب المالكى على حساب محاربتهم للمذاهب الأخرى (٤)، وإن كانوا قد أطلقوا العنان لعلماء المذهب المالكى مما ساهم فى انتشاره ، ويرى ابن خلدون أن سيادة المذهب المالكى ترجع إلى أن رحلة الفقهاء الأندلسيين كانت غالباً تتجه إلى الحجاز، وكانت المدينة يومئذ دار علم ، ولم يكن العراق في طريقهم ، فاقتصروا على الأخذ عن علماء المدينة ، وشيخهم يومئذ . مالك . وشيوخه من قبله وتلاميذه من بعده ، فرجع إليه أهل المغرب والأندلس وقلدوه دون غيره ممن لم تصل إليهم طريقته(٥) .

كما أرجعها ابن خلدون إلى عامل آخر حيث رأى أن " البداوة كانت غالبة على أهل المغرب والأندلس ولم يكونوا يعانون الحضارة التى لأهل العراق فكانوا إلى أهل الحجاز أميل لمناسبة البداوة ، ولهذا لم يزل المذهب المالكى غضا عندهم " (٦) .

ولم يقبل بعض الفقهاء المحدثين الشطر الثانى من مقولة ابن خلدون حيث رأى بعضهم أن صفة البداوة كانت قد انتفت عن أهل الحجاز وبخاصة فى العصر الأموى حيث استقروا فى المدن وتحضروا ، وإن كان لنا أن نسلم . أى صاحب هذا الرأى . بوجود بعض

(٤) محمد خلاف : المرجع السابق ، ص٢ .
(٥) ابن خلدون : المقدمة ، دار الفكر ، ب ، ت ، ص٣٥٦ .
(٦) نفس المصدر ، ص ٣٥٩ .

البدويين سكان الحجاز فإن ذلك ينتفى فى الأندلس ، فأهل الأندلس أصحاب حضارة قديماً وحديثاً قبل الفتح الإسلامى وبعده ، وبالتالي لا يصح أن نسايرالقول بأن أهل المدينة أو أهل الأندلس كانوا بدواً (٧).

وقد فسرها المؤرخ الدكتور أحمد مختار العبادى بأن عقلية الحجازيين أكثر بساطة وبعداً عن التعقيد ولذا مالوا إلى مذهب الإمام مالك (مذهب أهل الحديث) ، أما المذهب الحنفى فقائم على التعقيد والإستنباط من الأصول لذا سمى مذهب أهل الرأى والقياس (٨).

وبشكل عام رأى بعض المؤرخين أن انتشار المذهب المالكى يعود إلى أسباب سياسية بحتة ، فقد رأى فريق منهم أن ذلك يرجع إلى العداء التقليدى بين الأمويين والعباسيين، وأن الأمويين قد غلبوا المذهب المالكى تمييزاً لهم عن الأخذ بالمذهب الحنفى الذى غلّبه العباسيون، ومن أصحاب هذا الرأى " ابن خلكان " الذى ذكر أن والى المدينة " جعفر بن عبدالله " قد وصل إلى أسماعه أن مالك قد أنكر البيعة على " المنصور " . الخليفة العباسى . فأمر بضربه بالسياط ، ومدت يده حتى انخلعت كتفه (٩). وقد تأثر برأى " ابن خلكان " بعض المفكرين المحدثين فأعتبر أن الأمويين قد أخذوا بمذهب مالك بسبب كره العباسيين له ومناهضته لهم (١٠).

وأورد " ابن فرحون " أن سبب ضرب " مالك بن أنس " يعود إلى أن الوالى قد نهاه عن حديث طلاق المكره فلم ينته وذكره فى أحد مجالسه، أو أن يكون سبب الضرب راجع

---

(٧) محمدأبو زهرة : مالك ، حياته وعصره ، آراؤه وفقهه ، دار الفكر العربى ، ط ٢ سنة ١٩٥٢م ، ٣٩٣،٣٩٤ ؛ محمد أحمد عبده أبو الفضل : قضاة ثوار فى الأندلس ، ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط ، المجلد الثالث ، دار المعارف ، مصر سنة ١٩٨٥م ، ص ٢٦٤ .

(٨) أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط٢ سنة ١٩٨٦م ص ١١٦ ، ١١٧ .

(٩) القاضى عياض : ترتيب المدارك ، ص ٢٣٠ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، جـ٤ ، ت إحسان عباس ، دار صادر، بيروت سنة ١٩٦٩م ، ص ١٣٥ – ١٣٨ .

(١٠) شوقى ضيف : عصر الدول والإمارات ، دار المعارف – القاهرة – سنة ١٩٨٩م ، ص ١١٢ .

إلى نقده لمبايعة الناس للخليفة العباسى "المنصور" لأنها تمت على إكراه ، وذكر سبباً ثالثاً نقله عن " ابن بكير " وهو أن مالك قد قدم " عثمان " على " على بن أبى طالب " فسعى به أتباع على "الطالبيون" إلى العباسيين فضرب (١١).

على أن " ابن خلكان " فيما نقله عن " ابن الجوزى " فى إرجاع سبب ضرب مالك إلى حديث طلاق المكره يدعو إلى القول بأن " ابن خلكان " لم يكن على يقين سواء من هذا السبب أم من السبب الذى ذكره هو والخاص بنقض مالك لمبايعة " المنصور " الأمر الذى يجعل من الصعب الأخذ به وكذلك لما ورد عن " ابن فرحون " . كما أورد بعض المؤرخين سبباً آخر لضرب " مالك بن أنس " على يد " جعفر بن عبد الله " والى " المنصور " على المدينة وهو رفض مالك لمنصب القضاء الذى عرضه عليه " المنصور " فضربه لعدم تعاونه مع الحاكم(١٢) ، وإن كانت هذه الرواية ضعيفة .

أما عن السبب الذى أورده "ابن فرحون" فلم يحظ بتأييد المؤرخين حيث لم يكن للطالبيين نفوذ فى عهد " المنصور"، كما أن " مالك " كان يعظم قرابة الرسول صلى الله عليه وسلم ، إضافة إلى أنه كان متحفظاً بلسانه قليل الكلام كما عرف عنه .

والراجح فى هذه الحادثة هو السبب الخاص بحديث طلاق المكره وأن " مالك " لم يلتزم بتوجيه الوالى له بعدم ذكره فى مجالسه ، وقد دس له الوالى فى هذه المجالس من ذكر له أن" مالك "لم يأخذ بتوجيهه فغضب عليه الوالى وضربه بالسياط وحلق رأسه(١٣).

---

(١١) محمد كامل حسين : تعليق على كتاب الموطأ للإمام مالك ، ت : محمد فؤاد عبد الباقى ، جـ١ ، المكتبة الثقافية – بيروت – ط٣ ، سنة ١٩٨٢م ، ص حك .

(١٢) ابن فرحون : الديباج المذهب ، ص ٩٦ .

(١٣) لمزيد من التفاصيل عن حياة الإمام مالك ومحنته أنظر : الطبرى : تاريخ الأمم والملوك – دار الفكر – بيروت – سنة ١٩٧٩م ، جـ٩ ، ص ٢٤١.؛ ابن النديم : الفهرست – دار المعرفة – بيروت – ب . ت . ، جـ٦ ، ص ٢٨٠ ، ٢٨١.؛ الأصفهانى : حلة الأولياء وطبقة الأصفياء ، دار الكتب العلمية – بيروت – سنة ١٩٨٨م ، جـ١ ، ص ٣١٦ .؛ القاضى عياض : ترتيب المدارك ، جـ١ ص ١١٠ – ٢٥٥ .؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٤ ، ص ١٣٥ – ١٣٨ ، ابن فرحون : الديباج المذهب ، جـ١ ، ص٨٢ – ١٣٥ ، السيوطى : تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك ، دار الفكر العربى – بيروت – سنة ١٩٩١ ، جـ١ ، ص٣ – ٥٩ .؛ الذهبى : تذكرة الحفاظ ، جـ٣ ، دار إحياء التراث العربى ، ط سنة ١٩٥٨م ، ص ٢٠٧ – ٢١٣ .؛ الزواوى : مناقب الإمام مالك ، دار الفكر – بيروت – سنة ١٩٩١م ، ص٣ – ٥٩ .

وإذا كان هناك فريق آخر من المؤرخين قد أرجع أسباب انتشار المذهب المالكى فى الأندلس إلى أسباب سياسية إلا أنهم اتجهوا اتجاهاً آخر فى ذكر أسباب ذلك ، فذكروا أن السبب الرئيسى فى انتشار المذهب المالكى يعود إلى رغبة الحكام الأمويين فى سيادة هذا المذهب ، ومن هؤلاء المؤرخين " ابن حزم " الذى ذكر أن هناك مذهبين انتشرا بقوة السلطان وهما مذهب" أبى حنيفة النعمان " بالمشرق ومذهب " مالك " بالأندلس(١٤)، وقد أيده فى ذلك صاحب " نفح الطيب " حيث أورد أن الإمام مالك سأل بعض الأندلسيين الذين كانوا فى زيارة المدينة عن سيرة ملكهم وأبدى إعجابه به حيث قال : " نسأل الله أن يزين حرمنا بملكهم " ، وحينما صعد هذا الحديث إلى أسماع الأمير الأموى ، الذى كان على علم بفضل مالك وفقهه ، أفسح المجال للناس على أخذ مذهبه وترك المذهب الأوزاعى (١٥).

ويبدو من هذين الرأيين أن " ابن حزم " مع ماعرف به من مذهبه الظاهرى وعدائه للمالكية . وهو ما ستتناوله الدراسة فى فصل لاحق . قد قصد من إرجاعه إنتشار المذهب المالكى إلى قوة السلطان للتقليل من شأنه .

ونضيف إلى رأى الفريقين أن مسألة كره " مالك " للعباسيين والتى دعته إلى التقارب مع الأمويين تحدياً لبنى عباس ليست صحيحة فى مجملها حيث أن " مالك " لم يظهر أى عداء للعباسيين، فقد ذكر " الزواوى " أن " مالك " كان يقول بعد أن أفاق من الضرب : "أشهدكم أنى قد جعلت ضاربى فى حل"(١٦). ونقل عن صاحب الديباج أن " مالك " قال حين كان يضرب : " اللهم اغفر لهم فإنهم لايعلمون "(١٧). والمرجح أن المسألة كانت بين مالك ووالى المدينة " جعفر بن عبد الله " وأن " المنصور" لم يكن على علم بها ،

(١٤) الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٦١١ .؛ ابن حزم: رسائله ، جـ٢ ، ص ٢٩٩ .
(١٥) ورد فى مؤلف مجهول : أخبار مجموعة فى فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم ، مدريد،سنة ١٨٦٧م ، ص ١٢٠ ، أن " مالك بن أنس " قد مدح الأمير هشام بن عبد الرحمن قائلا : " وددت أن الله يزين موسمنا به " وأن الذى روى ذلك للأمير هو الفقيه " ابن أبى هند".؛ المقرى :نفح الطيب، ص ١٢٨.
(١٦) الزواوى : مناقب مالك ، ص ٢٦ ـ ٢٧ .
(١٧) ابن فرحون : الديباج المذهب ، جـ ١ ، ص ١٣١ .

فقد ورد أن " المنصور " حينما علم بذلك أرسل إلى "مالك" طالبا منه أن يقتص لنفسه من الوالى ولكن مالك رفض (١٨).

وقد أكد ذلك ابن القوطيه وصاحب كتاب أخبار مجموعة حيث أشاروا إلى أن الإمام مالك أبدى إعجابه بالأمير هشام ، أما السلاوى الناصرى فقد أشار إلى أن مالك أعجب بعبد الرحمن الداخل.(١٩)

ومن الواضح أن بعض المؤرخين قد بالغوا فى ذكر هذه الحادثة واحتجوا بها على إختلاق عداء وهمى بين " مالك " والعباسيين حتى ذكر بعضهم أن سبب ضرب " مالك " هو سؤاله عن سيرة الأمير عبد الرحمن الداخل(٢٠) ، على الرغم من أن المصادر تشير إلى تكريم " مالك " فى عهود العباسيين ، فذكر بعضهم أن " أبا جعفر المنصور " قد أرسل إلى الوالى - أى والى المدينة - ليقتص منه رغم قرابة هذا الوالى للمنصور ، مما يدل على رفض " المنصور " لما حدث للإمام "مالك"، كما ورد أن " مالك " قد كتب كتابه " الموطأ " بأمر من الخليفة " المنصور"(٢١) ، وكذلك ورد أن الخليفة " المهدى " قد عرض على " مالك " نشر كتاب " الموطأ " لكن مالك رفض ذلك (٢٢).

ويبدو أن الأسباب السياسية التى ركزت عليها كتابات المؤرخين لاتكفى وحدها كسبب لانتشار المذهب المالكى فى الأندلس واستمراره زهاء ثلاثة قرون وصل خلالها إلى القمة فى القرن السادس الهجرى على أيدى المرابطين ، فقد لقى هذا المذهب قبولاً فى نفوس المسلمين فى الأندلس لأنه كان يعتمد على الحديث ويجعل لعمل أهل المدينة أهمية

---

(١٨) محمد عبد الوهاب خلاف : تطور المدرسة المالكية فى الأندلس ، ص ٤ .

(١٩) ابن القوطيه : إفتتاح الأندلس ، نشر باسكوال دى حار نيجوس ، مدريد سنة ١٩٦٨م ، ص ٩٣ .؛ مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ١٢٠ .

(٢٠) محمد خلاف : تطور المدرسة المالكية فى الأندلس ، ص ٤ .

(٢١) الراعى الأندلسى : إنتصار الفقير السالك لترجيح مذهب الإمام مالك ، تحقيق محمد أبو العرفان ، دار الغرب - بيروت - سنة ١٩٨١م ، ص ٢٠٨ .

(٢٢) السيوطى : تزيين الممالك ، جـ ١ ، ص ٤٥ ، ٤٦ .

كبرى لأنهم كانوا هم الذين عاصروا الرسول صلى الله عليه وسلم وأدرى الناس به [٢٣] ولذا رأوا أنهم أولى الناس باتباع مذهب إمام دار الهجرة الإمام "مالك"[٢٤]، ورغبة فى التميز عن المشرق الذى ساده المذهب الحنفى[٢٥]، فضلا عن الرأى الذى ذكره " ابن خلدون " من أن رحلات علماء الأندلس إلى المدينة قد أدت إلى التأثر بالمذهب المالكى .ويرى أحد المؤرخين أن الدولة الأموية كانت تسعى لكسب ود الفقهاء ليصبغوا حكمهم بصبغة شرعية ، ويحصلوا على تأييد العامة لهم لإدراكهم بقوة تأثير العامل الدينى على الناس، كما أن الفقهاء نعموا بمكانة لم يحظوا بقدرها فى العصور اللاحقة ، لأن سلطانهم كان قائماً على التأييد المتبادل بينهم وبين حكام بنى أمية [٢٦].

على أن من أهم الأسباب التى ساعدت المذهب المالكى علي الإنتشار في الأندلس القدوة الحسنة لعلماء المذهب لاسيما الرواد الأوائل الذين حملوا المذهب المالكى إلى الأندلس"قرعون بن عباس [٢٧]" و"عيسى بن دينار" [٢٨] و" سعيد بن أبى هند" [٢٩] وهم أشاروا عند عودتهم إلى فضل مالك وسعة علمه وجلال قدره فانتشر يومئذ مذهبه . بينما تشير المصادر إلى أنهم هم الذين أدخلوه ونشروه فى الأندلس ، وإن كان " ابن خلدون" قد ذكر أن "عبد الملك بن حبيب " هو أول من أدخل هذا المذهب إلى الأندلس ودون كتابيه " الواضحة "و"العتبى" [٣٠] ، كما ذكر "

(٢٣) كان الأوزاعى يوصى من يذهب الى الحجاز أن يقرأ السلام على مالك ويقول له أبلغه " لاتنسانا من دعائك فإنا نحب بقاءك للأمة " . الراعى الأندلسى : إنتصار الفقير السالك ، ص١٣٢ ، ١٣٣ .

(٢٤) محمد خلاف : تطور المدرسة المالكية ، ص ٥ .

(٢٥) سالم يفوت : ابن حزم والفكر الفلسفى ، ص ٩٥ ، ٩٦ .

(٢٦) حسين مؤنس : شيوخ العصر فى الأندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة سنة ١٩٥٩م ، ص ١٩ - ٢٥ .

(٢٧) قرعوس بن العباس : كان علمه المسائل على مذهب مالك وأصحابه ، لقى مالكاً ونقل عنه ، وكان من المشاركين فى هيج الربض ، توفى سنة ٢٢٠هـ . القاضى عياض : ترتيب المدارك ، جـ٢ ، ص ٤٩٢ .

(٢٨) عيسى بن دينار سكن قرطبة وله رحلة إلى الحجاز وحينما عاد كانت الفتيا تدور عليه وولى قضاء طليطلة والحكم والشورى بقرطبة ومات سنة ٢١٢هـ وامتحن فى فتنة الربض أيام الحكم بن هشام . أنظر ترجمته القاضى عياض : ترتيب المدارك ، جـ٢ ، ص ١٦ – ١٩ .

(٢٩) سعيد بن أبى هند أبو عثمان ، أصله من طليطلة وسكن قرطبة ، سمع من مالك ونقل علمه وكان مكرماً لديه فسماه حكيم الأندلس ، وحينما عاد إلى قرطبة أستوزره بعض الأمراء وتوفى سنة ٢٠٠هـ . أنظر القاضى عياض: ترتيب المدارك ، جـ١ ، ص ٣٥٣ .

(٣٠) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٥٦ . وترجمة ابن حبيب سترد بعد ذلك .

عياض " أن " قرعوس بن عباس " و " الغازى بن قيس " و " زياد بن عبد الرحمن " هم أول من أدخلوا المذهب المالكى إلى الأندلس (٣١).

* أشهر فقهاء الأندلس في العصر الأموى

يحيى بن يحيى الليثى

يعد " يحيى بن يحيى بن كثير الليثى " من أقطاب المذهب المالكى فى الأندلس ومن أجل الفقهاء وأعظمهم وأكثرهم شهرة خلال العصر الأموى بأسره حيث كان من مؤسسى المذهب المالكى فى الأندلس . وقد ذكر أنه من أصل بربرى من قبيلة مصموده البربرية ، رحل إلى المشرق واستمع إلى مالك وعمره ثمانية وعشرون عاماً . وقد تفقه فى المدينة ، فذكر أنه ذات مرة كان يستمع إلى مالك فى مجلسه العلمى فقال أحد الجالسين قد خطر الفيل فخرج الجالسون ليروه ماعدا " يحيى الليثى " فسأله " مالك " عن السبب فى عدم خروجه لرؤية الفيل فقال له : " لم أرحل لأنظر الفيل وإنما رحلت لأشاهدك وأتعلم من علمك وهديك "، فسماه " مالك "عاقل الأندلس (٣٢). وقيل في ذلك أن يحيى هذا عاقل الأندلس وعيسى بن دينار فقيهها وعبد الملك بن حبيب عالمها .

وحين مر بمصر تعلم من علماء أخذوا عن الإمام مالك ، فقد تعلم من " الليث بن سعد " و " ابن وهب " و " ابن القاسم " وحمل عن الأخير عشرة كتب سمعها من " مالك " وقد عاد بهذه الكتب إلى المدينة ليسأل " مالك " عنها فوجده مريضاً ، ولبث جواره حتى مات وحضر جنازته (٣٣).

---

(٣١) عياض : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٥٥ .

(٣٢) ابن سعيد المغربى : المغرب فى حلى المغرب ، جـ ١ ، ص١٦٣ ،١٦٤ .

(٣٣) الليث بن سعد إمام أهل مصر فى الفقه والحديث ، وقد خرج عن مذهب مالك فى بعض الأمور ، وكنيته أبا الحارس ، توفى سنة ١٧٥ هـ . أنظر ترجمته فى ـ ابن خلكان : الوفيات ، جـ٤ ، ص ١٢٧ ـ ١٢٩ .؛ وابن القاسم هو أبو عبدالله عبد الرحمن بن القاسم فقيه مالكى تفقه بمالك وصحبه عشرون عاماً ، عاش بمصر وتوفى سنة ١٩١ هـ . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٣ ، ص ١٢٩ ،١٣٠ .؛ وابن وهب هو أبو محمد بن عبدالله ابن وهب بن مسلم الفقيه المالكى الذى عاش بمصر أحد أئمه عصره وصحب مالك وتوفى سنة ١٩٧ هـ . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٣ ، ص ٣٦ ، ٣٧ .؛ الذهبى : تذكرة الحفاظ ، جـ٣ ، ص٢٢٤ ـ ٢٢٧ .

وشهد عليه البعض أنه تأثر بمالك كثيراً فى صفاته حيث كان كثير الصمت هادئ الطبع ، بل أنه قد تأثر بمالك فى زيه (٣٤) .

وذكر القاضى عياض أن " زياد بن عبد الرحمن " المعروف بـ" شبطون "هو أول من شجع "يحيى" على التفقه فى الدين ، وسمع منه الموطأ قبل أن يقوم برحلته إلى المشرق . وكان من أساتذة يحيى أيضاً " محمد بن وضاح " و" محمد بن أحمد العتبى " وغيرهم (٣٥) . وقد أفاض القاضى عياض فى ذكر فضل " يحيى " والفائدة التى عادت عليه من رحلته إلى المشرق ، ومن الأقوال المأثورة عنه " لباس التقوى السكينة والوقار". وسئل عن الزهد فى الدنيا فقال: " من لم يرض منها إلا بالحلال فهو زاهد وإن كان مكباً عليها حريصاً ، ومن جاءه الموت وهو يطلب العلم لم يكن بينه وبين الأنبياء إلا درجة " (٣٦) وبفضل علمه انتهت إليه الرئاسة فى الأندلس وانتشر على يديه مذهب مالك ، وكانت روايته لكتاب الموطأ أفضل الروايات قاطبة (٣٧) .

وكان " يحيى الليثى " موقراً عند الأمراء مبجلاً لديهم وبخاصة الأمير "عبد الرحمن الأوسط" الذى قربه إليه وجعله من كبار مستشاريه ، وكان لايبرم رأياً إلا بمشورته ولايولى قاضياً إلا بموافقته (٣٨) وقد أشار " ابن حزم " إلى هذا فى قوله : " مذهبان انتشرا فى بدء أمرهما بالرياسة والسلطان ، مذهب أبى حنيفة ، فإنه لما ولى قضاء القضاة " أبو يوسف " كانت القضاة من قبله ، فكان لايولي قضاء البلاد من أقصى المشرق إلى أقصى أعمال إفريقية إلا أصحابه والمنتمين إلى مذهبه ، ومذهب مالك بن أنس عندنا فإن "يحيى بن يحيى " كان مكيناً عند السلطان ، مقبول القول فى القضاة، فكان لايلى قاض فى أقطارنا

(٣٤) عياض : ترتيب المدارك ، جـ ١ ، ص ٥٣٧ .
(٣٥) ابن سعيد : المغرب ، جـ ١ ، ص ١٦٤ .
(٣٦) عياض : المصدر السابق ، ص ٥٤٤ .
(٣٧) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٦ ، ص ١٤٤ .
(٣٨) المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٢٢١ ـ ٢٢٤ .

إلا بمشورته وإختياره، ولايشير إلا بأصحابه ومن كان على مذهبه والناس سراع إلى الدنيا والرياسة ، فأقبلوا على ما يرجون بلوغ أغراضهم به .

على أن " يحيى بن يحيى " لم يلي قضاء قط ولا أجاب إليه ، وكان ذلك زائداً فى جلالته عندهم وداعياً إلى قبول رأيه لديهم " (٣٩). وقد عرض القضاء على " يحيى بن يحيى " فأبى وقال : " إن المكان الذى أنا فيه أنفع وخير لكم مما تريدون، أنا إذا تظلم الناس من قاض أجلستمونى فنظرت لكم فى أحكامه ، وإن كنت قاضياً فيتظلم منى كما يتظلم من القضاة فمن تقعدون ينظر فى أحكامى " (٤٠) .

والجدير بالذكر أن كثيراً من المصادر قد أشارت إلى إشتراكه فى ثورة " الربض سنة ١٨٩هـ / ٨٠٥م " الواقعة في عهد "الحكم بن هشام" فقد أكتشف الحكم مؤامرة خطيرة دبرت ضده كان من ورائها رهط من الفقهاء مثل يحيى بن يحيى الليثى وطالوت بن عبد الجبار وعيسى بن دينار و غيرهم من زعماء المالكية فى الأندلس : وهرب يحيى الى طليطلة ومعه بقية الفقهاء خوفاً من بطش الأمير الحكم ولكنه أمنهم جميعاً وعفا عنهم . وكان يحيى بن يحى يثير الناس على الحكم ، وأن ذلك كان سبباً فى خروجه من قرطبة ، وهى حادثة قل أن تحدث للفقهاء ، ولذا فهى وقفة فى تاريخ الأمويين الذين اعتادوا تقدير الفقهاء حتى ازداد نفوذهم وأصبح يشكل خطراً عليهم فأحس " الحكم " بذلك وحجّم هذه الفئة المتميزة (٤١) . وقد هرب " يحيى بن يحيى"من قرطبة مرة أخرى ، وقربه الأمير " عبد الرحمن الثانى " إليه ولقبه بشيخ المسلمين أو شيخ القضاه أو رئيس البلد (٤٢).

(٣٩) ابن حزم : رسائل ابن حزم ، تحقيق : إحسان عباس ، جـ ٢ ، ص ٢٢٩ .
(٤٠) عياض : ترتيب المدارك ، جـ ١ ، ص ٥٣٤ .
(٤١) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، القسم الأول ، العصر الأول . مكتبة الخانجى ، القاهرة سنة ١٩٨٨ ، ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ .؛ إبراهيم بيضون : الدولة العربية فى أسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة ، دار النهضة العربية ، ط ٣ ، سنة١٩٨٦م ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .؛ أنظر ترجمة طالوت بن عبد الجبار : القاضى عياض: ترتيب المدارك ، جـ١ ، ص ٥٠٥ ، ٥٠٦ .
(٤٢) القاضى عياض : ترتيب المدارك ، جـ١ ، ص ٥٤٥ ، ٥٤٦ .؛ حسين مؤنس : تاريخ المغرب والأندلس ، دار مطابع المستقبل ـ القاهرة ـ سنة ١٩٨٠م ، ص ٣٥٩ .؛ مصطفى الشكعة : الأدب الأندلسى ، موضوعاته وفنونه ، دار العلم للملايين ، ط ٦ ، سنة ١٩٨٦م ، ص١٠١ .

وذكر"ابن خلكان" أن الأمير عبد الرحمن الأوسط إستدعى الفقهاء إليه ليستشيرهم فى خطأ كان قد ارتكبه وندم عليه ندماً شديداً وهو أنه وطأ فى نهار رمضان جارية له كان يحبها فأفتاه "يحيى بن يحيى " بصيام شهرين متتابعين ، فلما بادر" يحيى " بهذه الفتوى سكت بقية الفقهاء حتى خرجوا من عند الأمير فسألوه " لماذا لم تفته بمذهب مالك وهو أن تخيره بين العتق والطعام والصيام ؟ " فقال:"لو فتحنا له هذا الباب سهل عليه أن يطأ كل يوم ويعتق رقبه ولكن حملته على أصعب الأمور لئلا يعود" (٤٣).

على أن " يحيى بن يحيى " قد خالف الإمام مالك فى بعض الأمور متأثراً بـ"الليث بن سعد" أحد أساتذة مالك مثل القنوت فى الصلاة ، ومسألة اليمين مع الشاهد ، فكان لا يرى القضاء بها أو الحكم لشاهدين رجلين أو رجل وامرأتين ، ورأى أيضاً كراء الأرض مما يخرج منها على مذهب الليث (٤٤). ويفسر أحد المؤرخين ذلك بأن الإمام مالك لم يكن يسمح لتلاميذه بمناقشته أو الجدال معه أو حتى ذكر مصدره فى الفتاوى على عكس أبى حنيفة (٤٥).

وقد توفى يحيى بن يحيى الليثى سنة ٢٣٣هـ، وقيل سنة٢٣٤هـ، وكان عمره اثنتين وثمانين عاما (٤٦).

عبد الملك بن حبيب

يعتبر"عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمى الألبيرى " وكنيته " أبو مروان " من رواد المذهب المالكى فى الأندلس (٤٧) ، وقد روى عن " الغازى بن قيس "

---

(٤٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٦ ، ص ١٤٥ .

(٤٤) المسائل التى خالف فيها مالكية الأندلس مذهب مالك الثلاثة المذكورين والرابع غرس الشجر أمام المساجد على مذهب الأوزاعى ، أنظر : النباهى : المرقبة العليا، ص ٥١ .؛ ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، جـ ٢ ، ص ٨٩٨ ، ٨٩٩ .

(٤٥) مصطفى الشكعة : الإمام مالك بن أنس ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت،سنة ١٩٨٣م ، ص١٢٩ .

(٤٦) ابن عبد البر : الإنتقاء فى فضائل الثلاثة أئمة الفقهاء ، ص٦٠ .

(٤٧) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، جـ١ ، ص ٤٥٩ – ٤٦٣ .؛ الحميدى : جذوة المقتبس ، جـ٢ ، ص ٤٤٧ – ٤٤٩ .؛ القاضى عياض ، ترتيب المدارك ، جـ٣ ، ص ٣٠ – ٣٨ ، ابن خاقان : مطمح الأنفس ، ص ٢٣٣ .

و "زياد بن عبد الرحمن " و " وصعصعة بن سلام "[٤٨] ، رحل إلى المشرق سنة ٢٠٧ هـ أو ٢٠٨ هـ وسمع من "ابن الماجشون" و"إبراهيم بن المنذر" و"عبد الله بن الزيدى" و" ابن عبد الحكم " و " أسد بن موسى " وغيرهم [٤٩]. وقد ذكر " الضبى " أنه أدرك مالكاً فى آخر عمره [٥٠] ، وعاد إلى الأندلس بعلم غزير، له مؤلفات كثيرة فى الفقه والأدب، ومن أشهر مؤلفاته كتاب "الواضحة" ثم دون "العتبى" وكتاب " فضائل الصحابه " و " غريب الحديث " وكتاب " سيرة الإمام فى الملحدين " وكتاب " مصابيح الهدى " وكتاب " المسجدين " وكتاب" طبقات الفقهاء والتابعين " و " إعراب القرآن " و " الحسبة فى الأمراض " وكتاب " الفرائض " وكتاب " السخاء " و " إصطناع المعروف " و " كراهية الغنى " [٥١] ، وقد ذكر أنه ألف أكثر من ألف كتاب، وهو عدد مبالغ فيه ، وكان غزير العلم حتى قال عنه " ابن لبابه " فقيه الأندلس" عيسى بن دينار" وعالمها" عبد الملك بن حبيب "وعاقلها " يحيى بن يحيى الليثى " [٥٢] ، وسئل " ابن الماجشون " من أعلم الرجلين القروى التنوخى (يقصد ابن سحنون) أم الأندلسى السلمى (يقصد عبد الملك بن حبيب) فقال السلمى مقدمة علينا أعلم من التنوخى منصرفة عنا [٥٣].

والجدير بالذكر أنه لما انتشر علم " ابن حبيب " إستدعاه " عبد الرحمن بن الحكم " وعينه مشاوراً لـ " يحيى بن يحيى الليثى " وكانت هناك خلافات بينه وبين " يحيى بن

(٤٨) الغازى بن قيس وزياد بن عبد الرحمن وقرعوس بن عباس أول من أدخلوا المذهب المالكى إلى الأندلس ، أنظر: عياض : ترتيب المدارك ، جـ ٢ ، ص ٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ٤٩٢ .

(٤٩) القاضى عياض : ترتيب المدارك ، ص ٣١ ، وصفحات متفرقة فيها ترجمة هذه الشخصيات .

(٥٠) الضبى : بغية الملتمس ، جـ ٢ ، ص ٤٩١ .

(٥١) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، جـ ١ ، ص ٤٥٩ ـ ٤٦٢ .؛ القاضى عياض: ترتيب المدارك ، جـ ٣ ، ص٣٠ ـ ٤٨ .

(٥٢) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ٢١٧ ـ ٢٢٠ .

(٥٣) الحميدى : الجذوة ، ق ١ ، ص ٤٤٧ ، ٤٤٨ .؛ ابن سحنون التنوخى بن سعيد بن عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخى ، قرأ على ابن القاسم وابن وهب و أشهب ، وانتشر مذهب مالك فى افريقيا على يديه، وذاعت مدونته واعتمد عليها ،القاضي عياض : نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ٨٨٤ ، ٨٨٥ ، ٦٢٤ .؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٣ ، ص ١٨٠ ـ ١٨٢ .

يحيى " حتى توفى يحيى وترك له الرئاسة وحده [٥٤].وقد تحامل عليه كثير من الفقهاء وعابوا فيه فقال ابن الفرضى : " لم يكن لابن حبيب علم بالحديث ولا يعرف صحيحه من سقيمه، وكان يتساهل فى سماعه ويحمل على طريق الإجازة أكثر رواياته"[٥٥] وتعددت الروايات فى المصادر عن عدم إجادة ابن حبيب بعلم الحديث، فقد أورد عياض فى كتابه إلى أن السبب فى ذلك يرجع إلى حسدهم عليه وغيرتهم من علمه [٥٦] أما المقرى فيقول : " أما ماذكره ابن خاقان من عدم معرفته بالحديث فهو غير سليم وقد نقل عنه غير واحد من جهابذة المحدثين نعم بأهل الأندلس غرائب لم يعرفها كثير من المحدثين حتى أنه فى شفاء عياض أحاديث لم يعرف أهل المشرق النقاد مخرجها مع إعترافهم بجلالة حفاظ الأندلس الذين نقلوها مثل " بقى بن مخلد " و " ابن حبيب " وغيرهم [٥٧] ، وكان "عبد الملك بن حبيب " شاعراً مسترسلاً وأديباً بليغاً حفظت له المصادر أشعاراً كثيرة (٥٨). وكانت وفاة " ابن حبيب " سنة ٢٣٨ هـ وقيل سنة ٢٣٩ هـ عن ست وخمسين عاماً وقيل ثلاثة وخمسين عاماً [٥٩].

بقى بن مخلد

ومن الفقهاء المتميزين فى العصر الأموى " بقى بن مخلد " الذى رحل إلى المشرق لتلقى العلم فلقى العديد من الفقهاء مثل " أحمد بن حنبل " و " إبراهيم بن محمد الشافعى " و " صاحب ابن عيينه " وغيرهم كثير ، وسمع بإفريقية من"سحنون بن سعيد

---

(٥٤)القاضي عياض : ترتيب المدارك ، جـ ٣ ، ص ٣٩ .
(٥٥) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، جـ ١ ، ص ٤٦٠ .
(٥٦) عياض : نفس المصدر، جـ ٣ ، ص ٣٦ .
(٥٧) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ٢٢٠ .
(٥٨) نفس المصدر، ص ٢١٩ . من أشعار حبيب :

قدأطاح أمرى والذى إبتغى هين على الرحمن فى قدرته
ألف من الحمر وأقلل بها لعالم أربى عما بغيتى
زرياب فد أعطيها جملة وحرفتى أشرف من حرفتى

(٥٩) ابن خاقان : مطمح الأنفس ، ص ٢٣٥ .

التنوخى"و"عون بن يوسف " وغيرهم [٦٠] ، وألف العديد من الكتب منها " المصنفات الكبار" و" المنثور الكثير " ، وعاد إلى الأندلس يحمل العلم الكثير فنشره بها وله مؤلفات عديدة أهمها كتاب " تفسير القرآن" ذلك الكتاب الذى وصفته المصادر بأنه لامثيل له فى الإسلام [٦١] وله مصنف فى الحديث رتبه على أسماء الصحابة فروى عن ألف وثلاثمائة صحابى ، ثم رتب حديث كل صحابى على أسماء الفقهاء و أبواب الأحكام فهو مصنف ومسند، وله مصنف آخر عن فتاوى الصحابة والتابعين ، وقد صار بمؤلفاته هذه رائد علم الحديث فى الأندلس [٦٢] وذلك لاهتمامه بالجمع والرواية وهو شئ لم يهتم به فقهاء الأندلس قبل ذلك .

وقد تأثر " بقى بن مخلد " فى هذا بالإمام " أحمد بن حنبل " وغيره من فقهاء المشرق وذكر ابن عذارى : " أنه لما قدم " بقى بن مخلد " من المشرق عن رحلته الطويلة بما جمع من العلوم الواسعة والروايات العالية والإختلافات الفقهية ، أغاظ ذلك فقهاء قرطبة أصحاب الرأى والتقليد الزاهدين فى الحديث الفارين من علوم التحقيق المقصرين عن التوسع فى المعرفة فحسدوه ووضعوا فيه القول القبيح عند الأمير حتى ألزموه البدعة وشنأوه إلى العامة[٦٣] ، وتخطى كثير منهم برميه إلى الإلحاد والزندقة ..." [٦٤]. وبدا واضحاً من رواية ابن عذارى أن الفقهاء فى قرطبة لم يقبلوا التجديد بسهولة فقاوموه

---

(٦٠) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، جـ ١ ، ص ١٦٩ . يذكر ابن الفرضى أن بقى بن مخلد سمع من حوالى مائتى فقيه .

(٦١) ابن بشكوال : الصله ، حـ ١ ، ، ص ١١٨ ، ١١٩ .

(٦٢) الضبى : بغية الملتمس ، جـ ١ ، ص ٣٠١ ، ٣٠٣ .

(٦٣) شنأوه أى كرهوه ومقتوه .

(٦٤) ابن حيان : المقتبس من أنباء الأندلس ، تحقيق محمود مكى.؛ ص ٢٢٨ ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ت: ليفى برفنسال ، ص ١٠٩ ، ١١٠ .

و أتهموا أصحابه بالزندقة . ولم يكن " بقى بن مخلد " أول من هوجم أو أتهم بالزندقة(٦٥) ولكن سبقه فى ذلك " عبد الملك بن حبيب " الذى أجمعت كتابات المؤرخين على علمه الغزير ، وقد أتهم أيضاً بعدم معرفته بعلم الحديث وتساهله فيه وذلك لجمود عقلية هؤلاء الفقهاء وعدم تقبلهم لكل جديد ، وقد يكون ذلك سبباً فى العداء المبهم بين " ابن حبيب " و" يحيى بن يحيى الليثى " أحد أقطاب المالكية . على أى حال فإن الأمراء الأمويين كانوا على درجة من الفقه والثقافة والتسامح المذهبى ، الأمر الذى جعل " الأمير محمد " يتحرى صدقهم بنفسه بناء على التماس "هشام بن عبد العزيز" وزيره الذى استغاث به " بقى بن مخلد " فجعل بينهم وبينه مناظرة دحض فيها " بقى " حجتهم ، وظهر أن الحق معه فعرف الأمير حسدهم عليه وحماه منهم ، وقال لخازن الكتب بعد أن قرأ كتاب بقى : " هذا الكتاب لاتستغنى خزانتنا عنه " (٦٦) ونشر علمه ورفع له مكانته حيث قال: " أنشر علمك وأرو ماعندك من الحديث وأجلس للناس حتى ينتفعوا بعلمك " (٦٧) ، ومنذ ذلك الوقت إنتشر علم الحديث بالأندلس .

وأشهر من روى عن " بقى بن مخلد " " أسلم بن عبد العزيز " و" على بن عبد القادر بن أبى شيبه" (٦٨)

---

(٦٥) ذكر ابن الفرضى أن أصحابه أنكروا عليه غرائب الحديث وهم عبد الله بن خالد ومحمد بن حارث وأبو زيد وغيرهم ، أنظر : ابن الفرضى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٧٠ .؛ وأشار ابن حيان الى أن محمد بن عبد السلام الخشنى قد شارك بقى بن مخلد فى هذه الأزمة لأنه قال أن القرآن ناسخاً ومنسوخاً ، ولكن الأمير عفا عنه كما عفا عن بقى بن مخلد ، وقد أشار ابن الفرضى إلى أنه حسر فى جنازة بقى بن مخلد حزناً عليه وأنكر ابن وضاح ذلك عليه . أنظر : ابن حيان : المقتبس ، ت : محمود مكى ، ص ١٤٦ ـ ١٥١ .؛ ابن الفرضى : المصدر السابق ، ص ١٧١ .؛ ابن خاقان : مطمح الأنفس ، ص ٢٨٣ ، ٢٨٤ .؛ الذهبى : التذكرة ، ص ٦٣٩ ، ٦٤٠ .

(٦٦) الحميدى : الجذوة ، ق ١ ، ص ٤٠ .

(٦٧) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١١٠ .

(٦٨) على بن عبد القادر بن أبى شيبه الكلاعى : من أهل إشبيليه وكنيته أبو الحسن ، سمع بإشبيليه من محمد بن جناده ، وبقرطبة من محمد بن وضاح وغيره وكان حافظاً للمسائل بصيراً بالفتيا مشاوراً فى الأحكام مع نظرائه وكان صاحب الصلاة بحاضرة إشبيليه ، توفى فى سنة ٣٢٥هـ . أنظر الحميدى : جذوة المقتبس ، جـ٢ ، ص ٥٢٩ ، ٥٣٠ .

و " محمد بن عمر بن لبابه" (٦٩) و " عبد الله بن يونس المرادى"(٧٠) وهو أشهر من روى عنه وكان مختصاً به مكثراً عنه(٧١).

وقد أشار ابن الفرضى إلى ثمة وحشة أو خلاف بين كل من" بقى بن مخلد " و" محمد بن وضاح " لا تشير المصادر إلى سببه ، وإن كان من المرجح أن يكون السبب هو ميل " بقى بن مخلد " للمذهب الشافعى الأمر الذى جعل أصحاب " ابن وضاح " لايسمعون لـ" ابن مخلد" (٧٢).

وذكرت المصادر أن "بقى بن مخلد " ولد سنة ٢٠١ هـ ومات فى سنة ٢٧٦ هـ وقيل سنة ٢٧٣ هـ (٧٣). وأشار الدكتور حسين مؤنس أنه منذ ظهور "بقى بن مخلد" بدأت الأندلس عصراً يعتمد فيه الفقهاء على علمهم ليسطع نجمهم وليس التقرب للحاكم كما كان يحدث سابقاً (٧٤).

---

(٦٩) محمد عمر لبابه : كان مقدماً فى الفقه حافظاً للرأى وعين مشاوراً للأحكام فى عهد الأمير عبد الله ثم إنفرد بالفتيا فى أيام عبد الرحمن الناصر مع أبو صالح أيوب بن سليمان ، أنظر : ابن حيان : المقتبس ، ت : محمود مكى ، ص ٤٧١ .؛ ابن الفرضى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١٨٠ .؛ الحميدى : الجذوة ، ق١ ، ص ١٥٩ ، ١٦٠ ، ابن فرحون : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٨٩ – ١٩١ .

(٧٠) عبد الله بن يونس المرادى : يعرف بابن القبرى وأصله من قبره وسكره قرطبة ، وكنى بأبى محمد . وروى عن بقى بن مخلد ومات سنة ٣٣٠هـ . أنظر أبن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، جـ١ ،ص ٣٨٩ ، ٣٩٠ .؛ الحميدى : جذوة المقتبس ، جـ٢ ، ص ٤٢١ .

(٧١) أسلم بن عبد العزيز ، تولى القضاء مرتين وولى قضاء الجماعة بقرطبة سنة ٣٠٠ هـ ، وكان مؤثراً للحق مبادراً إليه ، حسن السيرة ، وظل فى قضاء الجماعة حتى سنة ٣٠٩ هـ ، ثم عوفى ولكنه عاد إليه بعد وفاة أحمد بن زياد ثم عوفى مرة ثانية سنة ٣١٤ هـ ومات سنة ٣١٧ هـ ، ويذكر أنه كان شافعى المذهب . أنظر: الخشنى : قضاة قرطبة ، ت : إبراهيم الإبيارى ، دار الكتاب المصرى ، دار الكتاب اللبنانى ـ بيروت، ط ٢ سنة ١٩٨٩ م ، ص ٢١٢ ـ ٢١٧ .؛ النباهى : قضاة الأندلس ، ص ٦٣ .؛ ابن فرحون : الديباج ، جـ ١ ، ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ .؛

(٧٢) تشير بعض المراجع الحديثة الى ميل بقى بن مخلد إلى المذهب الشافعى ، ولو أن المصادر لم تشر الى شئ من ذلك غير أنه تأثر بالإمام " أحمد بن حنبل " ، ويبدو أن بالنثيا قد ضم كل من يهتمون بالحديث للمذهب الشافعى . أما عن محمد بن وضاح فكنيته أبو عبدالله ، وهو من الرواة المكثرين ، رحل إلى المشرق وطاف البلاد فى طلب العلم ، سمع بإفريقية من سحنون ومن الأندلس يحيى بن يحيى الليثى ، وحدث بالأندلس مدة طويلة وروى عنه فقهاء مشهورون منهم ابن مسرة وابن أبى دليم وشيخون وغيرهم ، مات سنة ٢٨٦ هـ ، أنظر : ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، جـ ١ ، ص ١٧١. ؛الحميدى : المصدر السابق، ق١، ص١٥٣،١٥٤ .

(٧٣) جونثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسى ، ت. حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية ،سنة ١٩٥٥م،ص ٤٣٣ .

(٧٤) حسين مؤنس : شيوخ العصر فى الأندلس ، ص٥١.

منذر بن سعيد البلوطى

يعد " منذر بن سعيد البلوطى " من أبرز وألمع فقهاء القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) وأجلهم قدراً وأعظمهم علماً وأكثرهم زهداً . وكان رحمه الله رمزاً للكرامة والإباء مثلاً يحتذى به الفقهاء (٧٥) ، وقد أسهبت المصادر فى ذكر فضائله ومواقفه العظيمة من الخليفة الناصر فيذكر صاحب نفح الطيب أن الخليفة الناصر إنشغل ببناء مدينة الزهراء حتى عطل شهود الجماعة عن الصلاة ثلاث جمع متواليات فتضايق القاضى من ذلك وخطب الجمعة يذم تشييد البنيان وإنشغال الناس فى الملذات والتمسك بالدنيا وترك الآخرة ، فبكى الناس وبكى معهم الخليفة ندماً وتوبة ولكنه استشاط غيظاً من الفقيه الذى أحس أنه يقصده بخطبته ، وأقسم أن لا يصلى خلفه وسأله إبنه الحكم لم لا يعزله عن الصلاة ؟ فزجره قائلاً : " أمثل منذر بن سعيد فى فضله وعلمه . لا أم لك . يعزل لإرضاء نفس ناكبة عن الرشد ، سالكة غير القصد، هذا ما لا يكون وإنى لأستحى من الله ألا أجعل بينى وبينه فى صلاة الجمعة شفيعاً مثل منذر فى ورعه وصدقه ، ولكنه قد أحرجنى فأقسمت ، ولوددت أنى أجد سبيلاً إلى كفارة ليمينى بملكى بل يصلى بالناس حياته وحياتنا إن شاء الله " (٧٦) .

وكان " منذر بن سعيد " دائم التعنيف للخليفة الناصر الذى كان يعظمه ويبجله ، وقد عينه على القضاء بعد وفاة قاضيه " محمد بن أبى عيسى "، كما كان إمام الصلاة بالمسجد الجامع فى مدينة الزهراء (٧٧) ، وكان الناصر قد أدرك مكانته وغزارة علمه وسعة أفقه فكرمه وقربه إليه ، وكان دائم الإذعان له مستمعاً إلى نصحه ، فيذكر أن الخليفة الناصر قد بنى قبة من الذهب والفضة وأبدع فى بنائها وأحتفل بهذا البناء ، فدخل عليه " منذر بن

(٧٥) ينتمى منذر بن سعيد البلوطى الى فحص البلوط وهى قرية قريبة من قرطبة ، وهوبربرى الأصل ، وقد أثنى عليه المؤرخ ليفى بروفنسال ، أنظر :
Leve-Provensal : Histore De Espagne slamane T.I Paris 1950 , PP . 149 – 141 .
(٧٦) المقرى : أزهار الرياض ، جـ ٢ ، ص ٢٩٥ .؛ المقرى : نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ١٠٧ .
(٧٧) الخشنى : قضاة قرطبة ، ص ٢٣٧ .

سعيد " واجماً حزيناً وقرأ عليه الآية " ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون " ، فوجم الخليفة وحزن حزناً شديداً وبكى ، ويذكر أنه قد هدم القبة أو أنه سكت متحملاً " منذر بن سعيد " لعظم قدره (٧٨).

وكان " منذر بن سعيد " عادلاً فى أحكامه لا يخاف فى الله لومة لائم ، وقصته فى أيتام أخى نجدة دليل على ذلك ، فيذكر أن الخليفة الناصر أراد شراء دار لإحدى محظياته وكانت هذه الدار ليتامى أولاد أخى نجدة ، وكانوا تحت إشراف القاضى ، فأراد الخليفة شراءها فأرسل للقاضى يبلغه ذلك ، فقال لرسوله : " البيع للأيتام لا يصل إلا لوجوه ثلاثة منها الحاجة أو منها الوهن الشديد، ومنها الغبطة فأما الأمرين الأول والثانى فلا يصلحا ، وأما الغبطة فإن أعطاهما أمير المؤمنين ما تستبين به الغبطة أمرت وصيهم بالبيع ، فزهد الخليفة فى شراء الدار أملاً أن يتوخى رغبته فيها فأمر القاضى " منذر بن سعيد " وصيهم بنقض الدار وبيع أنقاضها ففعلوا ، فلما علم الخليفة بذلك أرسل إلى المنذر يستفسر منه عن سبب ذلك ، فقال منذر أخذت بقول الله تعالى "فأما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً" وأخبره أن الأنقاض قيمتها أكثر مما قومها بها وبقيت القاعة والحمام ، فصبر الخليفة قائلاً : " نحن أول منا انقاد إلى الحق فجزاك الله عنا وعن أمانتك خيراً " (٧٩).

ولم يكن"منذر بن سعيد البلوطى" قطب من أقطاب المالكية كسابقيه فحسب وإنما حمل معه من رحلته إلى المشرق مذهباً جديداً هو مذهب " داود الظاهرى"، ذلك المذهب الذى وصفته كتابات المؤرخين بأنه مذهب الجدل والمناظرة والقياس وليس مذهب

---

(٧٨) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ١١١ . يذكر المقرى أن منذر بن سعيد البلوطى قد أنشد الناصر ناقداً إياه على كثرة إهتمامه بالبنيان قائلاً :

يابانى الزهراء مستغرقاً أوقاته فيها أما تمهل
لله ما أحسنها رونقاً لو لم تكن زهرتها تذبل

فرد عليه الناصر : إذا هب عليها نسيم التذكار والحنين وسقتها مدامع الخشوع ياأبا الحكم لاتذبل إن شاءالله، فقال منذر اللهم اشهد أنى قد بثثت ماعندى .

(٧٩) ابن خاقان : مطمح الأنفس ، ص ٢٥٢ ـ ٢٥٤ .

التقليد (٨٠)، ولم يكن منذر أول من أدخل المذهب الظاهرى إلى الأندلس، وإنما سبقه فى ذلك"عبدالله بن محمد بن قاسم " ت.سنة٢٧٢هـ (٨١).

وكان منذر من المدافعين عن المذهب المحتجين له، ولكنه لم يكن يحكم به فى قضائه وإنما كان يحكم بالمذهب المالكى (٨٢)، وله مؤلفات كثيرة فى القرآن والفقه والرواية ، ومن مصنفاته كتاب "الإبانة عن حقائق أصول الديانة " وله مصنفات فى الحديث لـ "قاسم بن أصبغ " و " محمد بن عبد الملك بن أيمن"(٨٣)، وله كتابات أخرى مثل كتاب"الناسخ والمنسوخ "، وكتاب "الإنباه عن إستنباط الأحكام من كتاب الله" وقد تتلمذ منذر على يد" ابن ولاد "و" ابن المنذر النيسابورى" بمكة " ابن النحاس" بمصر(٨٤)، وكان خطيباً مفوهاً وشاعراً مرهفاً . ويذكر أن سبب اتصاله بالخليفة "عبد الرحمن الناصر" ثناؤه على الخليفة فى خطبة بليغة مفوهة أمام سفارة قسطنطين السابع فأثار إعجاب الخليفة وقربه إليه(٨٥).

وكان " منذر بن سعيد " آنذاك قاضياً على الثغور الشرقية (٨٦) ، ثم تولى قضاء الجماعة فى قرطبة والصلاة بالمسجد الجامع بالزهراء ، وظل فيهما حتى توفى الناصر

---

(٨٠) ابن الفرضى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٨٤٦ .

(٨١) المقرى : أزهار الرياض ، جـ٢ ، ص ٢٩٥ ، شوقى ضيف : المرجع السابق ، ص ١١٨ . ويلاحظ أن منذر بن سعيد أصله بربرى ، وكذلك ابن حزم وربما كان من أصل فارسى قد اعتنقا المذهب الظاهرى ، وربما كانت العقلية الغير عربية تميل إلى القياس والجدل والمناظرة .

(٨٢) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ٢٣٢ .

(٨٣) إحسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسى ـ عصر سيادة قرطبة ، دار الثقافة ـ بيروت سنة ١٩٨٥ م ، ص ٣٥٨.

(٨٤) الحميدى : الجذوة ، جـ ٢ ، ص ٥٥٦ .

(٨٥) له خطب كثيرة ذكرتها المصادر منها خطب فى الزهد وخطب فى صلاة الإستسقاء وكانت تزلزل الناس وتبكيهم حتى ينزل المطر ، وله أشعار عديدة متها :

كم تصابى وقد علاه المشيب وتعامى عمداً وأنت اللبيب

وله أشعار أخرى منها الشعر الإرتجالى الذى مدح فيه الأمير عبد الرحمن الناصر أمام رسل ملك الروم منه

تعلى كحد السيف وسط المحافل فرقت به بين حق وباطل

أنظر : ابن خاقان : مطمح الأنفس ، ص ٢٥٢ .؛ عبد الواحد المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، ت: محمد سعيد العريان ، وإشراف محمد توفيق عويضه ، القاهرة سنة ١٩٦٣م ،ص٥٦.؛ النباهى : تاريخ قضاة الأندلس ، ص ٦٦ – ٧٤ .؛ المقرى : نفح الطيب ، جـ٢ ، ص ٢٣٢ .

(٨٦) ابن الفرضى : المصدر السابق ، حـ ٢ ، ص ٨٤٦ .

وثبته عليه ابنه الحكم المستنصر حتى توفى"منذر بن سعيد" سنة٣٥٥هـ عن عمر يناهز ٨٤ سنة (٨٧) ، وقيل ٨٢ سنة وأربعة أشهر (٨٨) .

ويعد " منذر بن سعيد البلوطى " من أكثر فقهاء القرن الرابع الذين لعبوا دوراً فى الحياة السياسية ، وأكثرهم جرأة فى مناهضة الحكام من أجل إحقاق الحق ، ويعد مثلاً رائعاً للفقيه الأندلسى بكل المقاييس حتى أشاد بدوره بعض المستشرقين المنصفين (٨٩) .

علاقة فقهاء الأندلس ببنى أمية

تمتع الفقهاء بمكانة رفيعة ومنزلة سامية إبان العصر الأموى، وذلك تقديراً لعلمهم ودينهم ودورهم المؤثر فى المجتمع ، فلقد حظى الفقيه " مصعب بن عمران " بمكانة هامة فى عهد الأمير "عبد الرحمن الداخل " (١٣٨ ـ ١٧٢هـ) (٧٥٤ ـ ٧٨٨م) ، وكان قد حكم على أحد رجال ابنه هشام ، فشكاه إلى الأمير عبد الرحمن الداخل وطمع أن يأمر بحله فقال له الأمير : " واللّٰه لو سجل على فى مقعدى هذا لخرجت منه" (٩٠) .

وفى عهد الأمير"هشام الرضا"(١٧٢ ـ ١٨٠هـ ٧٨٩ ـ ٧٩٦ م) بلغ الفقهاء والقضاة منزلة كبيرة فقويت الصلة بينه وبينهم وتوطدت العلاقة بين الطرفين . علاقة مودة . ، غير أنه بدءاً من عصر الأمير " الحكم بن هشام " (١٨٠ ـ ٢٠٦هـ ٧٩٦ ـ ٨٢٢م) الذى لم يكن على شاكلة أبيه فى الورع والتقوى ، بل على العكس من ذلك اتسمت شخصيته بحب اللهو وكان يؤثر مجالس الشعراء والندماء أمثال عباس بن فرناس ويحيى الغزال وإبراهيم بن سليمان الشامى على مجالس الفقهاء والعلماء ، مولعاً بالصيد والقنص فكرهه الفقهاء لأنه كان من المجاهرين بالمعاصى السفاكين للدماء وقد ورد عند البعض أن سبب كراهية

(٨٧) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ٣٣٢ . ويذكر أنه تولى القضاء للجماعة لمدة ١٦ عاماً ، وذكر الخشنى أنه توفى سنة ٣٥٥ هـ وعمره ٨٤ سنة وكان مولده سنة ٢٧٣ هـ .

(٨٨) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، جـ ٢ ، ص ١٠٤ ـ ١١١ ، ٢٢٧ ـ ٢٣٣ .؛ الحميدى : الجذوة ، جـ٢ ، ص ٥٥٥ – ٥٥٧ ، ابن خاقان : مطمح الأنفس ، ص ٢٥٩ ، ٣٣٧ ؛ الخشنى : قضاة قرطبة ، ص ٢٣٧ ؛ عبد الواحد المراكشى . المعجب ، ص ٥٤ – ٥٨ ؛ المقرى : أزهار الرياض ، جـ٢ ، ص ٢٧٣ – ٢٨٥ .

(٨٩) L . Provencal : Historia de Musulmane de Espagne , III , PP.39 -40

(٩٠) ابن سعيد المغربى : المغرب ، جـ ١ ، ص ١٤٤ .

الفقهاء له أنه لم يرع مكانة الفقهاء ولم يحافظ على العلاقات الودية بينه وبينهم كما كان الحال فى عهد أبيه ، فلم يهتم بتقريبهم إليه ، فنفروا منه عندما شعروا أنه يعمل على الحد من نفوذهم ومنعهم من التدخل فى شئون الدولة مما كان سبباً فى فقد الثقة بينه وبينهم فانقلبوا عليه شر منقلب وأخذوا يحرضون الناس عليه فوق المنابر، واتهموه بالفسق والمجون ولقبوه بالمخمور، ولقى تحريضهم هذا هوى وآذاناً صاغية خاصة لدى طائفة المولدين فى الأندلس ، وهم الذين كانوا يتطلعون إلى المساواة فى المعاملة مع العرب وتحسين أوضاعهم السياسية والاجتماعية ولهذا اغتنموا الفرصة ودبروا ثورتين كبيرتين فى مدينتى طليطلة وقرطبة (٩١) ، غير أن الحكم استطاع بمقدرة فائقة القضاء نهائياً على هاتين الثورتين(٩٢)، وتعقب الفقهاء المحرضين على الفتنة الذين فروا من قرطبة إلى حواضر الأندلس أمثال الفقيه " يحيى بن يحيى " و " عيسى بن دينار " و "طالوت بن عبد الجبار" ، لكن لم يلبث الحكم أن أمن هؤلاء الفقهاء استجابة للتمس تقدموا به ، وعادوا للإقامة مرة أخرى فى قرطبة . حاضرة الإمارة (٩٣) .

على أن علاقة الحكم بفقهاء الأندلس لم تكن سيئة على طول الخط بل استجاب لبعضهم عندما رجوه فى أشياء لا تخص الحكم من ذلك أنه أثناء ثورة المولدين بربض قرطبة قبض العسكر على جار لقاضى الجماعة " الفرج بن كنانه " فتوسط لهم الفرج وقال لهم : " إنه سليم وليس فيه شئ مما تظنون " ، فقال له رئيس الحرس ليس لك شأن فى هذا فعليك بالنظر إلى حكومتك وأحباسك ، ودع مالا يعنيك . فذهب الفرج بن كنانه إلى الأمير

(٩١) حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٧٧ .

(٩٢) عن هاتين الثورتين أنظر : ابن القوطيه : تاريخ إفتتاح الأندلس ، ص ٤٦ ـ ٤٨ .؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ص ١٥.؛ مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ،ص ١١٨ ، ١١٩ .؛ محمد عبدالله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس العصر الأول ، ص ٢٤٣ ومابعدها .؛ السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ،دار المعارف، لبنان ، سنة١٩٦٢م ،ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .؛ أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص١٢٨، ١٢٩ ومابعدها .؛ محمد أحمد أبو الفضل : قضاة ثوار فى الأندلس ، ص ٢٦٧ .؛
L. Provencal : Histoira de L`Espangne Musulmane , Tom I , L`Istiute Francais , cairo , 1944 , P. 188 .

(٩٣) حسين مؤنس : شيوخ العصر فى الأندلس ، ص ١٩ ـ ٢٥ .

الحكم وقال له : " أيها الأمير إن قريشاً حاربت الرسول " ص " وناصبته العداء فى الله تعالى ، ثم أنه صفح عنهم لما أظفره الله تعالى بهم وأنس إليهم، وأنت أحق الناس بالإقتداء به لقرابتك منه ومكانك من خلافته فى عباد الله " ثم حكى قصة جاره وما تعرض له فى الدفاع عنه ، فأمر الحكم بإخلاء سبيل جاره ، وعقاب الرجل الذى تعرض للقاضى، وعفا عن بقية أهل قرطبة وبسط الأمان وردهم إلى أوطانهم (٩٤).

ولا يمكن إغفال موقف "قرعوس بن عباس" الذى كان على خطة السوق فى عهد " الحكم بن هشام " ، وأمر الحكم " سعيد الخير " - أحد أقربائه - بإحضار الشراب، فأرسل "سعيد" صبيه الذى التقى أثناء عودته بـ " قرعوس بن عباس " فأخذ ما بيده وكسره وأمر بضرب الخادم وهو يعلم أنه مرسل من قبل الحكم ، فلما علم الحكم بذلك لم يغضب من فعلة الفقيه ، وإنما قال " لسعيد الخير " ألا استتر رسولك " (٩٥) . وكان رغم فظاظته حريص على احترام الفقهاء والقضاة فأقام على القضاء بعده وفاة " مصعب بن عمران " قاضى أبيه " محمد بن البشير " المعروف بالعدل ، وكان يختار للقضاء منه عرف بالورع والبعد عن الجور.

ولم تلبث علاقة الفقهاء أن تحسنت مرة أخرى فى عهد" عبد الرحمن الأوسط " (٢٠٦-٢٣٨ هـ / ٨٢٢-٨٥٢ م) ، فنعموا بما كانوا ينعمون به فى عهد جده " هشام الرضا " من علو المكانة والقرب من الأمير ، بل والتسلط عليه أحياناً بحيث كان لا يستطيع إبرام أى أمر دون استشارتهم ، فكان " الأمير عبد الرحمن الأوسط " لا يبت فى إختيار القضاة إلا بعد إستشارة كبير الفقهاء المشاورين الأثير عنده " يحيى بن يحيى " (٩٦) ، فكان لا يستقضى قاضياً ، ولا يعقد عقداً ولا يمضى فى أمور الدين إلا بعد مشورته (٩٧) ، وهذا يدل

(٩٤) النباهى : تاريخ قضاة الأندلس ، ص ٥٣ .
(٩٥) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، جـ ١ ، ص ٣٥٩ ، ٣٦٠ .
(٩٦) ابن حيان : المقتبس ، ت. محمود مكى ، ص ١١ .
(٩٧) نفس المصدر ، ص ٨٥ .

على عظم المكانة السامية التى وصل إليها الفقيه "يحيى بن يحيى " فى دولة الأمير " عبد الرحمن الأوسط " ، وبالتالى ما وصل إليه الفقهاء والقضاة من مكانة هامة استمرت طوال العصر الأموى فى الأندلس .

وقد حذا الأمير " محمد " (٢٣٨ ـ ٢٧٣ هـ / ٨٥٢ ـ ٨٨٦ م) حذو والده الأمير " عبد الرحمن الأوسط " فى تقدير الفقهاء ، فقد ساعد الأمير محمد "بقى بن مخلد" على نشر علمه وبذلك أصبح صاحب الفضل فى إنتشار علم الحديث فى الأندلس .

كذلك المواقف الشهيرة بين الخليفة"عبد الرحمن الناصر"(سنة٣٠٠ـ٣٥٠ هـ / ٩١٢ ـ ٩٦١م) و" منذر بن سعيد البلوطى "، التى تعد أكبر دلالة على ما تمتع به الفقهاء من مكانة عظيمة ومنزلة رفيعة ، الأمر الذى جعل " منذر بن سعيد البلوطى " ينتقد الخليفة ويعنفه دون أن يخشى فى الله لومة لائم ، وينصحه دائماً ، والخليفة صدره متسع لكل هذا دون أى ضجر أو ضيق بل ظل يحترم منذر بن سعيد ويبجله حتى مات .

وقد ورد فى ترتيب المدارك أن الخليفة الناصر احتاج إلى شراء المجشر من أحباس المرضى بقرطبة ، فشكا إلى القاضى " أحمد بن بقى " فقال له : " لا حيلة لك عندى وهو أولى بحفظ الحبس"، فطلب منه الخليفة التحدث إلى الفقهاء فى ذلك ، وأن يعلمهم بأن الخليفة سيضاعف قيمته فلم يجيبوا طلبه ، وغضب الناصر وأمر الوزراء بتوبيخ الفقهاء ، فقام رجل فى الوزارة فحبسهم واتهمهم باستحلال أموال الناس ، وأكل مال اليتامى وشهادة الزور ، وأخذ الرشاوى ، ورماهم بالفسوق والشر وإتباع الشهوات وتوعد لهم بما سيفعله الأمير معهم ، فرد عليهم كبيرهم " محمد بن إبراهيم بن حيون " (٩٨) قائلاً : " يا وزير ليس المبلغ أنت ، وكل ما ذكرته عن أمير المسلمين مما نسبته إلينا ، فهى صفتكم معاشر خدمه ، أنتم الذين تأكلون أموال الناس بالباطل وتستحلون ظلمهم وتتحفون

(٩٨) محمد بن إبراهيم بن حيون سمع من ابن وضاح والخشنى ، ورحل الى المشرق ، وسمع من احمد بن حنبل ، لم يذهب مذهب مالك ، وكان صادقاً ، وقد اتهم بالتشيع ، وكان شاعراً ، توفى سنة ٣٥٥ هـ . المقرى : نفح الطيب جـ ٢ ، ص ٢٦٢ .

مماستهم بالرشا والمصانعة وتبغون فى الأرض بغير الحق، وأما نحن فليست هذه صفاتنا ولا كرامة ولا يقوله لنا إلا متهم فى دينه، فنحن أعلام الهدى ، وسروج الظلمة، بنا يتحسن الإسلام، ويفرق بين الحلال والحرام ، وتنفذ الأحكام ، وبنا تقام الفرائض ، وتثبت الحقوق وتحقن الدماء ، وتستحل الفروج،فهلا إذا عتب أمير المؤمنين بشئ لا ذنب فيه لنا، وقال بالغيظ بعض ما قاله ، تأتى بإبلاغنا رسالة أهون من إفحامك ، وعرضت لنا بإنكاره ففهمنا منك وأجبنا بما يجيب، فكنت تزين على السلطان وتفشى سره وتستحينا قليلاً فلا تستقبلنا بما إستقبلتنا به ، فنحن نعلم أن أمير المؤمنين لا يتمادى على هذا الرأى فينا وإنه سيراجع ببصيرته فى تعزيزنا ، فلو كنا عنه على هذه الحالة التى وصفها عنا ، لبطل كل ما صنعه ، وعقده وحله من أول خلافته إلى هذا الوقت فما بت له كتاب حرب ولا سلم ولا بيع ولا شراء ، ولا صدقة ولا حبس ، ولا هبة ولا عتق ولا غير غير ذلك إلا بشهادتنا هذا ما عندنا والسلام " وانصرف هو وأصحابه ، فلحقهم رسول الخليفة وقابلهم بكل إعظام وإحترام وبلغهم إعتذار الخليفة ، وندمه على ما صدر منه ، وأمر لكل واحد منهم بصله وكسوة علامة لرضاه عنهم (٩٩) .

وكان للفقيه " محمد بن عبد الله بن أبى عيسى " مكانة هامة لدى الخليفة الناصر أشار إليها النباهى فى كتابه (١٠٠) فيذكر أنه تولى قضاء ألبيرة وأمانتها والنظر على عمالها، ثم ولاه الخليفة قضاء الجماعة بقرطبة والصلاة ، ومع هذا فكان يوكل إليه أعمال أخرى مثل إخراجه فى السفارات إلى كبار الأمراء ، والإشراف على الأمانات فى الثغور والأطراف ، ومعرفة متطلباتها وبنيان الحصون فيها، وترتيب المغازى بها ، وإدخال الجيوش إلى بلد الحرب، وكان أحياناً يقوم مقام قواد الجيش ، ومع هذا لم ير له بديلاً على القضاء وكان يعظمه ويبجله ، وبخاصة وأن الخليفة "الناصر لدين الله" عرف بتقديره

(٩٩) عياض : ترتيب المدارك ، حـ ٣ ، ص ٣٩٩ ـ ٤٠١ .
(١٠٠) النباهى : تاريخ قضاة الأندلس ، ص ٥٩ ، ٦٠ .

للفقهاء وإحترامه لهم فقد كان لـ "محمد بن يبقى بن زرب " مكانة خاصة عنده وحزن على موته حزناً شديداً ، واستدعى الخليفة ابنه وعمره ثلاثة أعوام ، فمنحه ثلاثمائة دينار وتحف وكتب لورثته انتفعوا بها (١٠١) .

ومن الواضح أن فقهاء القرن الرابع الهجرى كانت لهم مشاركات فى الحياة السياسية وخاصة فقهاء قرطبة لقربهم من الحكام (١٠٢) . ولأبى إبراهيم الفقيه (١٠٣) العالى القدر قصتان مشهورتان وردتا فى نفح الطيب إحداهما حدثت فى عهد الخليفة الناصر الذى أقام حفلاً لختان حفيدته من ولده عبد الله ، واستدعى جميع الفقهاء والمشاورين والعلماء وكبار رجال الدولة ومن بينهم الفقيه " أبى إبراهيم " الذى لم يحضر الحفل ، فأثار ذلك غضب الناصر فأرسل إليه خطاباً يسأله عن سبب عدم حضوره الحفل فرد عليه أبو إبراهيم :"سلام على سيدى الأمير ورحمة الله قرأت ـ لأبقى الله الأمير سيدى ـ هذا الكتاب وفهمته، ولم يكن توقفى لنفسى ، وإنما لأمير المؤمنين سيدنا أبقى الله سلطانه لعلمى بمذهبه ، وسكونى إلى تقواه ، وإقتفاءه لأثر سلفه الطيب رضوان الله عليهم ، فإنهم يستبقون من هذه الطبقة بقية لا يمتهنونها بما يشينها ، ولا بما يغض منها ويطرق إلى تنقيضها يستعدون بها لدينهم ، ويتزينون بها عند رعاياهم ، ولهذا تخلفت ولعلمى بمذهبه توقفت إن شاء الله تعالى " (١٠٤) . وبهذا استطاع الفقيه أن يسمو بنفسه فوق كل ما يمس كرامته ، ويكون بإبائه وعزة نفسه نموذجاً يحتذى به الفقهاء .

أما قصته الثانية فكانت فى عهد المستنصر ، فبينما هو جالس فى المسجد ومجلسه حافل بالطلبة ، دخل عليه رسول الخليفة يأمره بالحضور من فوره ، فقال له أبو إبراهيم:"سمعاً وطاعة لأمير المؤمنين ولا عجلة ، إليه وعرفه وفقه الله عنى إنك وجدتنى فى بيت من بيوت الله تعالى معى طلاب العلم اسمعهم الحديث فهم يقيدونه عنى ، وليس

---

(١٠١) ابن فرحون : الديباج ، حـ ٢ ، ص ٢٣١ . سبق الحديث عنه فى ذكر عبدالله بن مسره .

(١٠٢) Le'vi – Provencal : op. cit. I , pp. 36, 37 .

(١٠٣) ورد ذكره عند المقرى ولم نعثر له على ترجمة فى المصادر المتاحة بين أيدينا

(١٠٤) المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٣٥٩ ، ٣٦٠ ؛ مصطفى الشكعة : الأدب الأندلسى ، ص١٠٨،١٠٩ .

يمكننى ترك ما أنا فيه حتى يتم المجلس المعهود لهم فى رضا الله وطاعته " فتركه الغلام متضجراً وبلغ قوله الخليفة ، ثم عاد إلى " أبى إبراهيم " وبلغه رد الخليفة : " جزاك الله خيراً عن الدين وعن أمير المؤمنين وجماعة المسلمين " وقال له الفتى وقد أمرت أن أبقى معك حتى تنهى مجلسك فشرح له الفقيه بعد الطريق عليه ، وعدم قدرته على ركوب الدابة لشيخوخته وطلب منه أن يستأذن الخليفة فى فتح الباب المجاور للمسجد ، فوافق الخليفة وأمر بفتح باب الصناعة (١٠٥) ، ووقف عليه الخدم مابين كناس وفراش متأهبين لانتظار الفقيه (١٠٦) .

مما سبق عرضه يتضح لنا أن العلاقة بين الفقهاء وأمراء وخلفاء بنى أمية كانت تسير فى معظم فتراتها على المودة وتقريب الحكام لهؤلاء الفقهاء ورفع مكانتهم لديهم لعلمهم وورعهم وثقافتهم الدينية الواسعة ، وسلوكهم السديد ، وترفعهم عن الصغائر ، وابتعادهم عن المعاصى واجتنابهم للمفاسد . أما من جانب الفقهاء فقد قدروا لأمراء بنى أمية هذه الصلة وساعدوهم على تدعيم مركزهم السياسى وصبغوه بالصبغة الشرعية وكانوا همزة الوصل بينهم وبين العامة فى فترة قوة الدولة . أما فى فترات ضعف الدولة فقد أدى ذلك إلى تدخل الفقهاء فى الأمور السياسية لها كما سيحدث فى القرن الخامس الهجرى (١٠٧) .

---

(١٠٥) باب الصناعة من الأبواب الشمالية فى مدينة الزهراء التى أسسها عبد الرحمن الناصر ، والبابان الآخران هى باب قوريه وباب الملك ، وسمى هذا الباب بباب الصناعة لمجاورته لدار الصناعة وكان مغلقاً . انظر : السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس ، جـ١ ، ص ١٩٣ .

(١٠٦) المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٣٦٠ ـ ٣٦٢ .

(١٠٧) لابد من التنويه إلى أن لكل طبقة مفاسدها ، وقد كان هناك فقهاء منحرفون فقدوا مكانتهم ونالوا العقاب ، ويبدوا أن الفساد الذى ساد الأندلس فى عصر الفتنة البربرية قد طال الفقهاء فظهر العديد من الفقهاء المرتشين والممالقين للحكام على حساب دينهم . . مثل القاضى ابن ذكوان وغيره . أنظر الخشنى : قضاة قرطبة ، ص ١٢١، ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ .